التحفة العسجدية

فيما دار من الإختلاف بين العدلية والجبرية

تأليف

مولانا الإمام الأعظم

والطود الشامخ الأشم ، من نعش الله به الدين

امام المتقين ، وعلم المهتدين ، والسابق لما سبق الأوائل

وهدى بهديهم الأواخر ، وشهد لهم وعليهم أمير المؤمنين

وسيد المسلمين الهادي لدين الله الحسن بن يحي القاسمي

رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

الحمد لله الذي أمر تخييرا ، ونهى تحذيرا ، وكلف يسيرا ، واشهد أن لاإلاه إلا الله وحده لاشريك له ، المنزه عن فعل القبائح والفساد ، والظلم والجور للعباد ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله المرسل رحمة للعالمين ، والهادي للخلق الى الحق المبين ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الهداة المتقين .

وبعد :

فإن شبهة الجبر وهو القول : (بأن الله يجبر عباده على فعل المعاصي) شبهة قديمة ، أول من قال بها ابليس لعنه الله ، قال تعالى حاكيا عنه :(قال رب بما أغويتني) الآية ، فأضاف الإغواء الى الله تعالى ، ثم تبعه في هذه الشبهة المشركون والكفار ، قال تعالى حاكيا عنهم :(وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لايأمر بالفحشاء اتقولون على الله مالا تعلمون)

قال الحسن البصري رحمه الله : (إن الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وآله وسلم الى العرب وهم قدرية وهم قدرية مجبرة يحملون ذنوبهم على الله) ذكره في الكشاف .

ثم جدد هذه الشبهة معاوية فانتشرت وعمت أكثر المسلمين ، إلا من عصم الله وهم (العدلية) فقد روي أنه قال - أي معاوية - في بعض خطبه : «لو لم يرني الله أهلا لهذا الأمر ماتركني وإياه ، ولو كره الله تعالى مانحن فيه لغيره» . وكان يقول : «أنا عامل من عمال

الله أعطي من أعطاه الله ، و أمنع من منعه الله ، ولو كره الله أمرا لغيره» . فأنكر عليه عبادة بن الصامت وغيره ممن حضر من الصحابة، ولم يزل ذلك في بني أمية حتى قال الحجاج وقد قتل رجلا لأجل اظهاره حب علي عليه السلام : «اللهم أنت قتلته لو شئت منعتني منه» .

قال الإمام المنصور باد عبدالله بن حمزة عليه السلام :«الجبر أموي إلا الشاذ النادر كالناقص والأشج ، والعدل هاشمي إلا الشاذ النادر كالمتوكل [١] .

ومن زمن معاوية الى وقتنا هذا لازال الصراع مستمرا بين العدلية والجبرية من خلال المؤلفات والمناظرات ، ومن أحسن ماألف في هذا الموضوع في عصرنا كتاب التحفة العسجدية ، وهو هذا الذي بين أيدينا نقدمه للقاريء الكريم فقد أظهر فيه مؤلفه مخازي المجبرة ، واستكمل فيه جميع شبههم ، ورد عليها بالأدلة العقلية والنقلية ، فلم يدع للخصم أي مجال للجدال ، كما ستعرف ذلك عند قراءتك له .

ترجمة المؤلف

هو مولانا أمير المؤمنين الإمام الهادي لدين الله.رب العالمين الحسن بن يحي بن علي بن احمد بن علي بن قاسم بن حسن بن علي بن محمد بن أحمد بن حسن بن زيد بن محمد بن أبي القاسم

---

١ ذكر ذلك كله في الشافي للإمام المنصور بالله عليه السلام ، والمنية والأمل للإمام المهدي عليه السلام .

بن الإمام علي بن المؤيد بن جبريل بن المؤيد بن احمد بن يحي بن أحمد بن يحي بن يحي بن الناصر بن الحسن بن عبدالله بن محمد بن القاسم بن الناصر احمد بن الإمام الهادي يحي بن الحسين سلام الله عليهم أجمعين .

مولده

ولد عليه السلام بهجرة ضحيان شمال مدينة صعدة من اليمن في ليلة الخامس من ربيع الأول سنة ١٢٨٠هـ

نشأته

تربى في حجر والديه ، وقرأ القرآن ، وأول معالم الدين عليهما ، ثم انتقل الى الشيوخ بجامع ضحيان ، يغترف من بحورهم المتدفقة ، فكدح في تحصيلها وحفظها ، حتى صار إمام العلم والمرجع في كل فن من الفنون .

مشايخه

أخذ عن علامة الآل وحافظ علومهم عبدالله بن أحمد مشكاع الضحياني المؤيدي ، رحمه الله ، وأجازه اجازة عامة ، والقاضي العلامة محمد بن عبدالله الغالبي رحمه الله ، وأجازه اجازة عامة ، وأجازه الإمام المهدي محمد بن القاسم عليه السلام فيما حوى عليه اسناد حواري الآل عبدالله بن علي الغالبي ، وأجازه القاضي العلامة أحمد بن رزق السياني فيما حواه اتحاف الأكابر للشوكاني ، وأخذ عن غير من ذكرنا من العلماء ، وهو أول من فتح في الزمن

الأخير باب الجهاد والإجتهاد من علماء صعدة .

مؤلفاته

ألف كتبا كثيرة نافعة في مختلف الفنون منها : التحفة العسجدية ،و هي هذه التي بين يديك ، والبحث السديد في الأسماء والصفات ، ورد على الحشوية في مسألة الإستواء على العرش ، ومختصر ينابيع النصيحة ، الجميع في أصول الدين ، والمسائل الرائقة في أصول الفقه ، والمسائل النافعة ، ومنسك للحج في الفروع ، ومجموع فيما وقف عليه من أخبار الإنتصار في الحديث ، ومحاسن الأنظار فيما قيل في الأخبار ، ومجموعين لطيفين ، في الرواة ، وسبيل الرشاد في طرق الإسناد ، والتهذيب ، ومنية الراغب ، وحاشية على مقدمة ابن الحاجب في الصرف ، وحاشية على التخليص في المعاني والبيان، والأنوار الصادعة في علم الباطن والمعاملة ، والنور الساطع ، ومختصر السفينة في الأدعية ، والإدراك في المنطق ، والمنهل الصافي في العروض والقوافي ، والروض المستطاب في الحكم ، والجوابات التهامية ، وغير ذلك من الرسائل والفوائد والجوابات التي يصعب حصرها .

تلامذته

أخذ عنه جم غفير ، يشق حصرهم ، نكتفي بذكر بعضهم لميلنا الى الإختصار ، فمنهم : العلامة حسن بن حسين عدلان ، والعلامة علي بن يحي العجري ، والعلامة يحي بن حسن طيب ، والعلامة

عبدالكريم بن عبدالله العنثري ، وأولاده العلماء المجتهدون ، منهم : المولى العلامة فخر الإسلام عبدالله بن الإمام رحمهم الله جميعا .

دعوته

بث دعاته عليه السلام رأس ١٣٢٠هـ وقيد دعوته بآخر جزء من إمامة المنصور محمد بن يحي حميد الدين ، وأظهرها يوم الأربعاء ١٧ ربيع اول ، بعد وفاة المنصور بثمانية أيام سنة ١٣٢٢هـ من جامع المزار بوادي فلله ، جنوب هجرة ضحيان التي تبعد عن مدينة صعدة بمقدار ٢٣ كم تقريبا فأجابه أكثر سكان بلاد جماعة وسحار وخولان ، ورازح وهمدان وغيرهم .

الأحداث التي وقعت حال ولايته

وقع بينه وبين المتوكل يحي بن محمد حميد الدين حروب كثيرة ، ومعارك صعبة ، ثم ظهر النكث عليه ممن أجابه ، وعند ذلك انتقل من محل دعوته المزار الى حصن ام ليلى شمال مدينة صعدة ، بمقدار ٤٠ كم تقريبا ، وذلك سنة ١٣٢٧هـ ، ولم يزل بها مجاهدا ، صابرا محييا للعلوم ، الى أن أحاطت به جنود المتوكل في ذلك الحصن ، في ١٧ ربيع أول فخرج منه بعد أن خذله جميع من تابعه الى الحرجة عام ١٣٣٠هـ بعد ولاية استمرت سبع سنين .

أما سبب خذلان الناس له فهو حب الدنيا والمال ، والملوك ،وهذا مصداق قول علي عليه السلام في النهج :«وانما الناس مع الملوك والدنيا إلا من عصم الله» ومصداق قول ولده الحسين عليه

السلام :«الناس عبيد الدنيا ، والدين لغو على ألسنتهم يحوطونه مادرت معائشهم ، فإذا محصوا بالبلاء قل الديانون» رواه الإمام ابوطالب في اماليه.

مدة بقائه في الحرجة ثم انتقاله منها الى باقم

بقي في الحرجة نحو ثلاث سنين تقريبا محييا للعلوم الى أن ضاق من بقائه في تلك البلاد لقلة دين أهلها ومباينتهم لآل رسول الله ﷺ ، وميلهم الى الوهابية أهل النصب والعناد ، فعاد الى باقم من بلاد جماعة ، شمال مدينة صعدة بنحو ٥٣كم تقريبا عام ١٣٣٣هـ ، ولم يزل بها غوثا للورى ، ومنهلا للفقراء ، آمرا بالمعروف ، ناهيا عن المنكر ، عاكفا على التدريس الى أن توفاه الله .

وفاته

توفي ليلة الأثنين ٥ جمادى الأولى عام ١٣٤٣هـ في مدينة باقم ، ودفن في ساحة جامعها الكبير رحمه الله رحمة الأبرار ، وأسكنه جنات تجري من تحتها الأنهار .

نبذة ممن رثاه من العلماء.

رثاه العلماء بمراث كثيرة نذكر منهم المتوكل يحي بن محمد حميد الدين ، والعلامة محمد بن ابراهيم حورية ،والعلامة أمير الدين الحوثي ، والعلامة عبدالله بن عبدالله العنثري رحمهم الله ، والعلامة مجد الدين بن محمد المؤيدي أبقاه الله .

الحمد لله .

قد وقفت على التحفة العسجدية ، وتأملت مادار بين العدلية ، والجبرية ، فوجدت مؤلف هذا الكتاب لازال في حفظ رب الأرباب ، سلك مسلك الحق والصواب ، وأتى في مؤلفه بالعجب العجاب ، واستظهر بمدلولي السنة والكتاب ، وزيف أقوال الخصوم ، التي هي أشبه بلامع السراب ، ونفى شبه أهل الزيغ والإرتياب ، ورد الحق الى نصابه ، وأتى البيت من بابه ، وأنجح في مطالبه وخطابه ، حتى توضح الحق ، وظهر وخنس داعي الشيطان ونفر (فبهت الذي كفر) وقد ضمن الله لهدى الدين بأيمة هادين مهتدين ، ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين .

كل من كان في المدارك غرا	فليطالع للتحفة العسجديه
فبها الحق مابه من خفاء	وعليها دارت رحى العدليه
وكلام الخصوم محض هباء	ويح قوم من فرقة جبريه
كابروا العقل والنصوص جميعا	وأحالوا فعلهم للمشيه
ثم قالوا إن القبائح فينا	والمعاصي من فعل باري البريه
ولكم جادلوا بجهل وغي	واستباحوا شتم اللآلي المضيئه
حرفوا قالب القران وقالوا	إن آل النبي هم بدعيه
ثم قالوا إن الأئمة لما	باينوهم سموهم الرافضيه
ويح قوم قد جادلونا بجهل	ورمونا من دائهم بالبليه
نحن آل النبي سفينة نوح	عترة المصطفى خيار البريه
وكفى فخرنا اليه انتسابا	واختياري لمذهب العدلية

قد رضيت الندافي يوم حشري يوم ادعى بسيد الزيديه
بالإمام المظلوم زيد عليه رحمة الله بكرة وعشيه
ياابن يحي لازلت تحي علوما من علوم للسادة الهادويه
وعليك السلام يبقى دواما ياإماما له العلوم الجليه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، واصلي وأسلم على محمد الأمين ، وآله الطيبين الأكرمين .   وبعد

فهذه تحفة للطالبين ، وتبصرة للمستبصرين ، فيما يتعلق بأفعال الملكلفين ، من الخلاف بين المجبرة ، وأهل العدل ، ومادار بينهم في ذلك من عدم الإئتلاف ، فنقول وبالله التوفيق ، ونسأله الهداية الى واضح الطريق :

اتفقت المجبرة [١] على أن كل كفر وفسق وفحش ، وزنا ولواط ، وتظالم وايمان وبر ، وأحسان وقع فالله سبحانه الخالق له ، والموجد له ، وليس للعبد في ذلك قدرة مؤثرة ، ولااختيار ، وأنه سبحانه يأمر وينهى بما لايريد ، ويفعل الفعل من دون حكمة وغرض

والجامع لما تعلقوا به في ذلك ، الداعي [٢] والعلم ، ونفي الحسن والقبح العقليين ، وأن لايقع في ملكه مالايريد ، وتكليف مالايطاق ، والآيات والأخبار التي ظاهرها الجبر ، وأنهم السواد الأعظم لكثرتهم ، ومناظرة ابليس والملائكة بعد أمره بالسجود .

واتفق اهل العدل على أن العبد قادر بقدرة اعطاه الله اياها بها يتمكن من ايجاد الفعل ، وتركه باختياره ، وأن الله عدل حكيم ، لايكلف مالايطاق ، وأن جميع أفعاله حكمة مقصودة له ، وأنه متعال

---

١ سميت المجبرة مجبرة لقولهم : إن العبد مجبر على ماهو منه من طاعة أومعصية . شرح الملل والنحل للإمام المهدي عليه السلام .

٢ حقيقة الداعي : مايترجح لأجله وجود الفعل على تركه.

عن خلق الكفر والفسق ، وأفعال العباد .

وتعلقوا في صحة ذلك بضرورة العقل وبالسمع .

فصل

أما الداعي وهو المرجع للفعل على الترك ، فبيانه :

أنه إن كان الفعل لازم الصدور عن العبد بحيث لايمكنه الترك فواضح أنه غير مختار ، وإن كان جائزا وجوده وعدمه ، فإن افتقر الى مرجح فمع المرجح يعود التقسيم فيه بأن يقال : إن كان لازما فاضطراري ، وإلا احتاج الى مرجح آخر ، ولزم التسلسل ، وإن لم يفتقر الى مرجح بل يصدر عنه تارة ، ولايصدر عنه اخرى مع تساوي الحالتين ، فهو اتفاقي (١).

والإتفاقي (٢) لايكون في وسعه واختياره ، فيلزم من هذا الجبر ، وهو المطلوب .

قال الرازي (٣) : ولو أجمع الأولون والآخرون على هذا

---

١ فهو كفعل الساهي والنائم .

٢ قوله: فهو اتفاقي ، أي فالفعل اتفاقي صادر بلا سبب يقتضيه ،فلا يكون اختياريا ، لأن الفعل الإختياري لابد له من ارادة جازمة ترجحه ، يعني ترجح الوجود على الترك ، لأنه تصيره راجحا ، اذ قد يريد المرجوح ،وهو ماتركه أولى من فعله . تمت من حواشي شرح الغاية .

والحاصل أن المرجح إما أن يكون من فعل الله ، أومن فعل العبد ، أولا من فعل الله ولامن فعل العبد لاجائز أن يكون من فعل العبد ، وإلا لزم التسلسل ، ولاجائز ان يكون لابفعل الله ، ولابفعل العبد لانه يلزم من ذلك حدوث شيء لالمؤثر ، وذلك يبطل القول بالصانع ، إذ يقتضي القدح في الإستدلال بالممكن على المؤثر ، وذلك يقتضي نفي الصانع.

٣ الرازي هو ابوعبدالله محمد بن عمر بن الحسين الرازي مولدا ، الأشعري اصولا الشافعي فروعا صاحب التفسير الكبير وفاته عام ٦٠٦هـ .

البرهان لما تخلصوا عنه إلا بالتزام ، وقوع الممكن لاعن مرجح ، وحينئذ يفسد باب اثبات الصانع ، أوبالتزام أن يفعل الله مايشاء ، يعني اجبار العبد ، وأن الفعل فعله سبحانه .

أجاب العدلية (١) عن ذلك بوجوه اربعة :

الأول : بأنه استدلال في مقابلة الضرورة ، فيكون باطلا ، وذلك أنا نفرق ضرورة بين الأفعال الضرورية ، والإختيارية ، كالسقوط والصعود ، وحركتي الإختيار والرعشة .

الثاني : أنه يجري في فعل الباري تعالى ، فيلزم أن لايكون مختارا ، وأنه كفر .

الثالث : يلزم أن لايوصف الفعل بحسن ولاقبح شرعا ، إذ لاتكليف لغير المختار عندكم وإن جوزتموه .

الرابع : أنا نختار أنه يحتاج الى مرجح ، والمرجح لفعل العبد على تركه هو الإرادة للفعل ، فلا يلزم كون العبد مجبورا في أفعاله .

اجابت الجبرية (٢) عن الأول : بأن الضروري وجود القدرة لاتأثيرها .

قالت العدلية : جعلكم الضروري وجود القدرة لاتأثيرها مغالطة ، فإنه لاطريق الى العلم بوجودها إلا العلم الضروري باختيارنا في

---

١ سميت العدلية عدلية لقولهم بعدل الله وحكمته .

٢ سميت الجبرية جبرية نسبة الى الجبر ، وهو القول بأن الله يجبر عباده على فعل المعاصي .

افعالنا ، وعدم توقفها على شيء سوى ارادتنا ثم إذا وجدنا مختارا يتمكن من فعل دون آخر علمنا وجودها في الأول دون الثاني ، ولولا تعلقها بأفعالنا ، وتأثيرها فيها لم يعلم وجودها أصلا ، على أن نفي تأثيرها يرفع فائدة خلقها ، إذ وجودها ولاأثر لها كعدمها .

وأجابت الجبرية عن الثاني : بأن مرجح فاعليته تعالى قديم ، وهو ارادته القديمة ، فلا يحتاج الى مرجح آخر بخلاف مرجح فاعلية العبد ، فانه حادث ، فيحتاج الى موثر ، فإن صدر عن العبد تسلسل ، وإلا كان مجبورا في فعله .

أجابت العدلية : بأنه لايفيدكم ماذكرتموه ، لأن ارادته تعالى قديمة عندكم ، وفعله تعالى مستند اليها وجوبا عندكم ، وهي مستندة الى ذاته بطريق الإيجاب (١) وإذا وجب الفعل بما ليس اختياريا له تطرق اليه الإيجاب فلم يكن مختارا في فعله .

وأجابت الجبرية عن الوجه الثالث : بأن للعبد قدرة واختيارا ، لكن لاتأثير لقدرته ، ومثل هذا لاينافي التكليف الشرعي .

أجابت العدلية : بأن ماذكرتموه لايدفع الجبر (٢) المنافي للإختيار بالضرورة (٣) وجعل بعض الأفعال الواجبة (٤) اختياريا

---

١ إذ لو كان صدور الإرادة القديمة بطريق الإختيار لزم أن لايكون القديم قديما ، فثبت أن استنادها بطريق الإيجاب .

٢ أي عدم استقلال العبد كما هو مرادهم حيث يقولون فعل العبد واسطة بين الجبر والإختيار ، فاشار المؤلف عليه السلام أن لافرق عند التحقيق .

٣ متعلق بمناف.

٤ أي الذي يجب وجوها عند تحقق الإرادة ، والمراد بالبعض هو الفعل الشرعي ، أي ماحسنه الشرع أوقبحه

مجرد تسمية تكذبها الحقيقة [1]

وأجابت الجبرية عن الوجه الرابع بأن الإختيار ، والإرادة من فعل الله ، لأن اختيار العبد ليس باختياره ، وإلا لزم التسلسل ، فيبطل استقلال العبد بفعله .

أجابت العدلية : بأنا لانسلم أن الإرادة من فعل الله تعالى ، بل من فعل العبد ، ولايلزم التسلسل لإن المحتاج اليها هوالمتوجه اليه قصد الإرادة ، وأيضايدل على أن الإرادة من فعل العبد قوله تعالى :(يريدون ليطفؤا نور الله) [2] وقوله :(ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما) [3] وقوله :(ويريد الشيطان) [4] ، الآية ، وغير ذلك من الآيات الدالة على أنهم أرادوا غير ماأراد سبحانه ، فكيف تكون ارادة العبد منه ، وهو يخبر أن ارادتهم غير ارادته ! وفي قولهم هذا مخالفة للقرآن ، ولما نجده من انفسنا ، على أن ابن الحاجب [5] قد استضعف دليلهم هذا ، أعني الداعي والمرجح من حيث هو ، وهو من فحول المجبرة ، وأيضا فقد ذم الله اهل الكتاب في قوله سبحانه :(ألم تر الى الذين أوتوا نصيبامن الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل) [6]

---

١ لماعرفت من أنه لافرق بين وجود القدرة من غير تاثير ، وهو المسمي عندهم بعدم الإستقلال وبين الجبر المحض.

٢ الصف (٨) .

٣ النساء (٢٧) .

٤ النساء (٦٠) .

٥ هو ابوعمرو عثمان بن عمرو بن ابي بكر الكردي المالكي النحوي الاصولي توفي سنة ٦٤٦هـ .

٦ النساء (٤٤) .

ولو لم يكن لهم ارادة لما ذمهم عليها ، ولما استحقوا الذم على ذلك، وأيضا لو لم يكن للعبد ارادة لما كان للوعيد عليها معنى ، وكان عبثا ، حيث يقول تعالى :(ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب اليم) (١)

ثم إن القول بعدم ارادة العبد يلزم منه تكذيب القرآن في قوله تعالى :(إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء) (٢) ،(أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا) (٣) وقوله :(ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا) (٤) وقوله (ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم) (٥) وقوله تعالى (يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت) (٦) ، الى قوله (ويريد الشيطان أن يضلهم) وقوله تعالى :(إن يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما) (٧) وقوله تعالى :(ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا) (٨) وقوله تعالى:(منكم من يريد الدنياومنكم من يريد الآخرة) (٩) وقوله تعالى :(يريدون أن يبدلوا كلام الله) (١٠) ، وقوله تعالى :(ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب

---

١ الحج (٢٥).

٢ المائدة (٩١) .

٣ النساء (١٤٤).

٤ النساء(١٥٠) .

٥ النساء (٩١).

٦ النساء (٦٠).

٧ النساء (٣٥) .

٨ النساء (٢٧).

٩ آل عمران (١٥٢).

١٠ الفتح (١٥).

الآخرة نؤتها منها) (١) وغير هذه الآيات ، والله سبحانه يقول :(ذلك الكتاب لاريب فيه) (٢).

فصل

وأما العلم فقالت الجبرية : قد سلمتم كونه تعالى عالما بجميع المعلومات ، ووقوع الشيء على خلاف علمه يقتضي انقلاب علمه جهلا ، وذلك محال ، والمفضي الى المحال محال ، فيكون علمه سابقا سائقا ، لهذا فالقضاء والقدر لازم لكم بهذا الدليل لزوما لاجواب عنه .

اجابت العدلية بأن علم الله سابق غير سائق ، فلم يناف تمكن العبد من الفعل والترك ، فعلمه تعالى هو بالفعل وشرطه ، وهو التمكن والإختيار ، وإن سلم مادعته المجبرة من أن علمه سبحانه سائق فنقول :

علم الله سبحانه ساقه الى التمكن والإختيار إذ هو عالم بأن العبد متمكن من الفعل ومختار له ، فلم يكشف وقوع الإيمان من الكافر ، لو قدرنا وقوعه عن الجهل في حقه تعالى ، لعلمه سبحانه بالفعل ، وشرطه كعلمه سبحانه عدم اطلاع النبي صلى الله عليه وآله وسلم على اهل الكهف ، فانه لم يكشف عن الجهل في حقه تعالى ، بعد أن علم أنه لو اطلع عليهم لولى منهم فرارا ،ولملىء منهم رعبا ، لأنه

---

١ آل عمران (١٤٥).

٢ البقرة (٢) .

لايكشف عن الجهل في حقه تعالى ، الا حيث كان لايعلم إلا احدهما [١] ثم أن هذا الدليل الذي زعم الرازي أنه لاجواب عنه يلزم منه أن يكون الباري تعالى غير مختار في رزقنا ، ولافي خلق السموات والأرض ومابينهما ، لأنه قد سبق في علمه أنه يخلق ويرزق ، فلا بد له من ذلك ، وإلا انقلب علمه جهلا ،فيلزم عدم اختياره في شيء من أفعاله ،، وقد اعترف بهذا الإلزام ابن الحاجب ، وسعد الدين وغيرهما من الجبرة ، وأقروا بأنه يلزم منه الكفر .

قال الرازي حكاية عن العدلية بعد كلام معناه ماسبق فيلزم ان لايكون الله سبحانه قادرا على شيء اصلا ، وذلك كفر بالإتفاق ، فثبت أن العلم بعدم الشيء لايمنع من امكان وجوه ، ثم قال عنهم : ولو كان الخبر والعلم مانعا لما كان العبد قادرا على شيء اصلا ، لأن الذي علم الله وقوعه كان واجب الوقوع ، والواجب لاقدرة عليه ، والذي علم عدمه كان ممتنع الوقوع ، والممتنع لاقدرة عليه ،فوجب ألا يكون العبد قادرا على شيء ، فكانت حركاته وسكناته جارية مجرى حركات الجمادات ، والحركات الإضطرارية للحيوانات ، لكنا بالبديهة نعلم فساد ذلك ، فإن من رمى انسانا بالآجرة حتى شجه فإنا نذم الرامي ، ولانذم الآجرة ، وندرك بالبديهة تفرقة بين ماإذا سقطت الآجرة عليه وبين ماإذا لكمه انسان بالإختيار ، ولذلك فإن العقلاء ببداهة عقولهم يدركون الفرق بين مدح المحسن ، وذم المسيء ،ويلتمسون ويأمرون ،ويعاتبون ويقولون

---

١ الإيمان في حق المؤمن ، أوالكفر في حق الكافر.

: لم فعلت ؟ ولم تركت ؟ .

وقال ايضا عنهم : لوكان العلم بالعدم مانعا للوجود لكان أمر الله تعالى للكافر بالإيمان أمرا بإعدم علمه ، وكما أنه لايليق به أن يأمر عباده بأن يعدموه ، فكذلك لايليق به أن يأمرهم بأن يعدموا علمه ، لأن اعدام ذات الله وصفاته غير معقول ، والأمر به سفه وعبث .

ثم قال عنهم : الإيمان في نفسه من قبيل الممكنات فوجب أن يعلمه الله من الممكنات ، إذ لو لم يعلمه كذلك لكان ذلك العلم جهلا ، وهو محال ، وإذا علمه الله من الممكنات التي لايمتنع وجوده وعدمه البتة ، فلو صار بسبب العلم واجبا لزم أن يجتمع على الشيء الواحد كونه من الممكنات ، وكونه ليس منها ، وذلك محال .

ثم قال عنهم : إن العلم بوجود الشيء لو اقتضى وجوبه لأغنى العلم عن القدرة ، والإرادة ، فوجب أن لايكون الله تعالى قادرا مريدا مختارا ، وذلك قول الفلاسفة . اهـ

وقالت العدلية : من احتج بأن العلم سائق لزمه أن تكون افعالنا لاباختيارنا ، ولاباختيار الله أما كونها لاباختيارنافهو مقتضى التشبث بهذه الشبهة ، وأما كونها لاباختيار الله تعالى ، فلأنها أيضا قد سبقت في علمه ،فلا بد من فعلها وجوبا ، والوجوب ينافي الإختيار ، ولو لم يكن فعله لها واجبا لكان جائزا ، فيجوز أن لايفعلها فينقلب علمه جهلا وهو محال .

إذا عرفت هذا علمت أن العلم لاأثر له في المعلوم إذ قد

أعلمنا النبي ﷺ بالدجال وكفره ، والمهدي وهداه ، وليس لعلمنا أثر في الدجال والمهدي ، وماعلم الله إلا بهذه المثابة .

فصل

وأما نفي الحسن والقبح العقليين

فقالت الجبرية : لاحسن ولاقبح للأفعال قبل ورود الشرع ، فلا حكم للعقل في حسن الأشياء وقبحها ، فلو عكس الشارع القضية فحسن ماقبحه ، وقبح ماحسنه لم يكن ممتنعا ، وانقلب الأمر فصار القبيح حسنا ، والحسن قبيحا ، كما في النسخ من الحرمة الى الوجوب ، ومن الوجوب الى الحرمة ، وهذه المسألة قرارة مطلوبنا الذي هو الجبر ، فكلما الزمتمونا في خلق الله للأفعال ، أجبنا عليكم بهذه المسألة .

ثم قالت الجبرية محتجين على ماذهبوا اليه:

العبد مجبور في أفعاله ، وإذا كان كذلك لم يحكم العقل فيها بحسن ولاقبح ، لأن ماليس فعلا اختياريا ، لايتصف بهذه الصفات اتفاقا .

بيانه أن العبد إن لم يتمكن من الترك فهوالجبر ، وإلا يكن كذلك بل تمكن من الترك ،فإما أن لايتوقف وجود الفعل منه على مرجح فالفعل اتفاقي ، فلا يكون اختياريا ، وإن توقف على المرجح ، فإن كان المرجح لم يكن من العبد فالفعل مثله ،وإن كان من العبد عاد التقسيم ، وقد مر ذلك ، ومر جواب العدلية عن ذلك .

واحتجوا ثانيا : لوكان ذاتيا لزم قيام المعنى بالمعنى ، أي العرض بالعرض ، واللازم باطل ٠

أما الأولى : فلأن حسن الفعل مثلا أمر زائد على مفهوم الفعل ، والا لزم من تعقل الفعل تعقله ، ولايلزم ، إذ يعقل الفعل ولايخطر بالبال حسنه ، ثم يلزم أن يكون أمرا وجوديا لأن نقيضه لاحسن وهو سلب ، إذ لو لم يكن سلبا لاستلزم محلا موجودا ، فلم يصدق على المعدوم أنه ليس بحسن ، وأنه باطل بالضرورة ، وأيضا إذا لم يصدق عليه أنه ليس بحسن ، صدق عليه أنه حسن ، اذ لامخرج من النفي والإثبات ، فلم يكن الحسن وصفا ذاتيا ، اذ المعدوم لايكون له صفة إلا مقدرة موهومة ، وكيف يكون صفة حقيقة ذاتية لما لاحقيقة ولاذات له ؟ وإذا ثبت أن نقيضه سلب كان هو وجودا ، والا ارتفع النقيضان ، فثبت أنه زائد وجودي ، فهو معنى لأن ذلك هو معنى المعنى ٠

ثم نقول : الفعل قد وصف حيث يقال : الفعل حسن ، فيلزم قيام الحسن بالفعل لامتناع أن يوصف الشيء بمعنى يقوم بغيره ، والفعل أيضا معنى وهو ظاهر ، فيلزم قيام المعنى بالمعنى ٠

وأما الثانية : وهي بطلان اللازم الذي هو قيام المعنى ، وهوالحسن بالمعنى ، وهوالفعل ، فلأنه يلزم اثبات الحكم ـ الفعل ـ وهو كون المعنى قائما به لمحل المعنى ، وهوالفاعل ، لاللفعل نفسه ، لأن الحاصل قيام المعنيين معا بالجوهر ، إذ المعنيان معا في حيز الجوهر بطريق التبعية له ، وحقيقة القيام : هو التبعية في التحيز ٠

بيان ذلك أن قيام الصفة بالموصوف الذي هو الفاعل مثلا معناه تحيز الصفة تبعا لتحيز الموصوف ، ولايتصور إلا في المتحيز بالذات ، لأن المتحيز وهو الفعل مثلا بتبعية غيره وهو الفاعل لايكون متبوعا لثالث وهوالحسن مثلا إذ ليس كونه متبوعا لذلك الثالث اولى من كونه تابعا له ، والعرض وهو الفعل مثلا ليس بمتحيز بالذات ، بل هو تابع في التحيز للجوهر ، وهو الفاعل مثلا فلا يقوم به غيره ، أي فلا يقوم الحسن بالفعل عقلا ، وهو المطلوب .

اجابت العدلية : إن هذا الدليل يجري في الحسن الشرعي بأن يقال : لوكان حسنا شرعا لقام المعنى بالمعنى الى آخره .

ويلزم منه امتناع اتصاف الفعل بكونه ممكنا ، ومعلوما ومقدورا ومذكورا ، فيلزم أن لايكون الإمكان ذاتيا ، فلا يكون الفعل في نفسه ممكنا .

وأجابت العدلية بمنع المقدمة الأولى ، وهي الشرطية ، وماذكر في بيانها ، فإن نقيض العدمي لايجب وجوده فقد يكون الشيء ونقيضه معدومين معا [1] وبمنع الثانية ، وهو بطلان قيام المعنى بالمعنى لأنا لانسلم أن القيام التبعية في التحيز كما ذكرتم بل هو الإختصاص الناعت ، وهو أن يختص شيء بأخر اختصاصايصير به

---

[1] وموجودين معا ، ومنقسمين ، وتحقيقه أن الوجودي يطلق على معنيين : الموجود ، وماليس في مفهومه سلب ، والعدمي يقابله فيهما ، والنقيضان لابد أن يكون احدهما وجوديا ، والآخر عدميا بالمعنى الثاني ، لكن الوجودي بهذا المعنى لايجب أن يكون موجودا لجواز كونه مفهوما اعتباريا ، ليس فيه سلب ولايجب ذلك في المعنى الأول لجواز ارتفاعهما بحسب الوجود في الخارج ، إنما يمتنع ارتفاعهما في الصدق .

ذلك الشيء نعتا للأخر ، والأخر منعوتا ، وسواء فيه الجوهر وغيره ، وقد استعضعف ابن الحاجب دليل الجبرية هذا .

فصل

قالت العدلية : العقل حاكم [1] بحسن الأشياء وقبحها لوجوه -

منها : أن الناس طرا يجزمون بقبح الظلم والكذب الضار ،ويذمون على مايجزمون بقبحه ، وليس ذلك بالشرع ، اذ يقول به المتشرع وغيره ، ولاالعرف لاختلافه باختلاف الأمم ، وهذا لايختلف بل الأمم قاطبة متفقون عليه .

ومنها: أنه لو لم يكن عقليا لحسن منه تعالى الكذب ، وخلق المعجز على يد الكاذب ، وفي ذلك ابطال الشرائع وبعثة الرسل بالكلية ، إذ لايتبين صدقه تعالى من الكذب ولاالنبي عن المتنبي .

ومنها : أنه لولم يكن الحسن والقبح عقليين لجاز أن الشارع يحسن ماقبحه ، ويقبح ماحسنه ، كما في النسخ فيلزم جواز حسن الإساءة ، وقبح الأحسان ، وذلك باطل بالضرورة .

ومنها : أنا نعلم ان من خالفنا في هذه المسألة بأنه يفرق بضرورة عقله بين من احسن اليه ومن أساء ، وبين الظلم والعدل ، ومن

---

1 اعلم أن ادراكات العقل ثلاثة الأول : صفة الكمال والنقص ، والثاني : ملائمة الغرض ومنافرته ، وهذان لانزاع في ادراكه لهما ، والثالث : الحسن والقبيح المتعلق بالمدح والذم والثواب والعقاب ، والنزاع في الثالث ، وأما الأولان فالأشعرية يوافقون في ادراك العقل للحسن والقبيح فيهما ، وأما الثالث فلا حكم فيه إلا للشرع عندهم . وعند العدلية العقل حاكم ، والشرع كاشف ، قال الله تعالى (إن الله يأمر بالعدل والإحسان) الآية تقتضي كونه عدلا واحسانا قبل الأمر .

أنكر ذلك فهو مكابر منكر للضرورة .

ومنها : أن الشرع قد أكد ذلك قال تعالى(فألهمها فجورها وتقواها) (١) أي بما ركب فيها من العقول والألهام لايكون بصريح الكلام.

ومنها: أن الدليل على صدق النبوة لايتم الا بأن الله تعالى جعل المعجزة لصدق النبي ﷺ ومن صدقه الله فهو صادق ، وهذا لايصح عند المخالف ،لأنه يجوز أن يجعل الله المعجزة للإغواء والإضلال لعدم امتناع القبح منه ،ولايمتنع عندهم أن يصدق الله المبطل الكذاب ،فلا يحكم بصحة النبوة ولاصدق النبي ﷺ على اصلهم ، وقد أقر العضد بأنه لايمتنع الكذب منه تعالى عقلا .

وقد تحير المحققون منهم في هذا ، فبعضهم رمز الى فساد هذا المذهب ، وبعضهم صرح قال بعضهم : لايتم استحالة النقص عليه تعالى إلا على راي المعتزلة القائلين بالقبح العقلي .

وقال الجويني (٢) : لايمكن التمسك في تنزيه الرب تعالى من الكذب بكونه نقصا ، لأن الكذب عندنا لايقبح لعينه .

وقال صاحب التلخيص : الحكم بأن الكذب نقص ،ان كان عقليا كان قولا بحسن الأشياء وقبحها عقلا ، وان كان سمعيا لزم الدور (٣).

وقال العضد : لم يظهر لي فرق بين صفة النقص والقبح العقلي

---

١ الشمس (٨) .

٢ عبدالملك بن محمد بن عبدالله الجويني توفي ٤٧٨هـ تمت منهاج الوصول باختصار ، تحقيق الدكتور المأخذي .

٣ لأنه لايقبح الكذب إلا بالسمع ، ولايكون السمع صدقا إلا بقبح الكذب .

،بل هو بعينه ، وذلك لأنهم يقولون ويعترفونْ ويوافقون : إن العقل يدرك صفة الكمال والنقص ، ويدرك ملاءمة الغرض ومنافرته ، وإنماينكرون الحسن والقبح في الفعل المتعلق بالمدح والذم ، فعندهم أن العقل لايحكم بذلك ، وقالوا لايقبح من الله قبيح ولاظلم ، فالكفر والزنا واللواط والجور والظلم والتعذيب بغير جرم ، ورفع فرعون في عليين ، وانزال موسى في الدرك الأسفل من النار الجميع فعله وخلقه ، ولايقبح منه ذلك ، وممن صرح منهم بفساد مذهبهم في نفي التحسين والتقبيح العقليين وهو كون الشيء متعلق المدح عاجلا والثواب آجلا ، وكونه متعلق الذم عاجلا والعقاب آجلا .

صاحب التوضيح (١) قال : كل من علم أن الله تعالى عالم فاعل بالإختيار ، وعلم انه غريق بنعمة الله في كل لحظة ، ثم مع ذلك ينسب من الصفات والأفعال مايعتقد أنه في غاية القبح والشناعة اليه تعالى فلم ير بعقله أنه يستحق بذلك مذمة ، ولم يتيقن أنه في معرض سخط عظيم ، وعذاب اليم ، فقد سجل غوايته على غباوته ولجاجته ، وبرهن على سخافة عقله واعوجاجه ، واستخف بفكره ورأيه ، حيث لم يعلم بالشر الذي في رأيه ، الى أن قال : فلما ابطلنا دليل الأشعري رجعنا الى اقامة الدليل على مذهبنا .

وقال ايضا : على ان الأشعري يسلم القبح والحسن عقلا بمعنى الكمال والنقصان ، فلا شك أن كل كمال محمود ، وكل نقصان

---

١ هو من القائلين بخلق افعال المكلفين .

مذموم ، وأن اصحاب الكمالات محمودون بكمالاتهم ، واصحاب النقائص مذمومون بنقائصهم .

فانكاره الحسن والقبح بمعنى أنهما صفتان لاجلهما يحمد أويذم الموصوف بهما في غاية التناقض الى آخر كلامه . انتهى.

وقال في المواقف [١] وشرحه [٢] واعلم أنه لم يظهر لي فرق بين النقص في الفعل ، وبين القبح العقلي فيه ، فإن النقص في الأفعال هو القبح العقلي بعينه فيها ، وإنما تختلف العبارة دون المعنى ، فأصحابنا المنكرون للقبح العقلي ، كيف يتمسكون في دفع الكذب عن الكلام اللفظي بلزوم النقص في افعاله تعالى .

فصل

وأما أنه لايقع في ملكه مالايريد فقالت المجبرة : لوكان الفعل من العبد لكان فعله المعصية والفساد منازعة له تعالى في سلطانه ومغالبة له ، ويلزم أن يكون تعالى عاجزا .

أجابت العدلية : بأن فعل العبد ليس مغالبة ومنازعة ، أما فعل الطاعة والمباح فواضح ، واما فعل المعصية فهو كفعل عبد قال له سيده لاأرضاك تأكل البر لمصلحة رايتها لك ، ولاأحبسك عنه ، لكن إن فعلت عاقبتك ، ففعل العبد ليس نزاعا لسيده ، لأن النزاع هو المقاومة والمغالبة ، وهذا العبد لم يقاوم ولم يغالب ، وهذا

---

١ للعضد .

٢ للشريف .

الإلزم لازم لكم ، لأنكم تقرون بأن الله تعالى قد خولف فيما امر به ، فما المانع أن يخالف فيما اراده عندكم ! إنما ذلك مقتضى الحكمة في انزال الكتب ، وارسال الرسل ، فالأمر اولى بأن تكون مخالفته لازمة للعجز ، لأنه لايتردد عند سماعه أن ألآمر طلبه بخلاف الإرادة ، فإنها لاتظهر مع عدم القرينة ، ولأن الأمر لايكون إلا بعد الإرادة فهي من لوازمه قال تعالى :(إن الله يحكم مايريد) [1] بعد قوله :(غير محلي الصيد) .

وقالت العدلية أيضا إما ان يكون الله تعالى قادرا على أن يخلق للعبيد قدرة مؤثرة ، أوغير قادر .

فإن قالت المجبرة : إنه غير قادر لزمهم أنه عاجز ، والأمر على خلافه ، لأن الله على كل شيء قدير .

وان قالوا : إنه قادر على ذلك .

قلنا: فقد فعل بشهادة ضرورة العقل ، وشهادة صريح القرآن حيث يقول عز وجل :(من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها)[2] فقد قضت حكمته بأن جعل الإختيار اليهم في عمل أيهما شاؤا ، ليستحقوا الثواب ، أوالعقاب ، ولو منعه عن فعل المعصية والطاعة ، لم يستحق الثواب على فعل الطاعة ، ولاالعقاب على فعل المعصية ، وبطل التكليف إذ هو ملجأ حينئذ ، ثم إن قولكم : لايقع في ملكه مالا يريد ، يرده أيضا قوله تعالى :(ومالله يريد

---

١ المائدة (١) .

٢ فصلت (٤٦) .

ظلما للعباد) [١] فنزه تعالى نفسه عن ارادة شيء من الظلم ، والظلم بين عبيده واقع لامحالة ، وكل واقع عندهم مراد له تعالى ، فيلزمهم أن الظلم مراد له تعالى ، وهو رد لصريح الآية .

فصل

وأما تكليف مالايطاق

فقال الرازي في مفاتيح الغيب : احتج اهل السنة بهذه الآية أعني قوله تعالى :(إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لايؤمنون)[٢] وكل ماأشبهها من قوله تعالى :(لقد حق القول على اكثرهم فهم لايؤمنون)[٣] وقوله :(ذرني ومن خلقت وحيدا) الى قوله :(سأرهقه صعودا) [٤] وقوله :(تبت يدا ابي لهب) على تكليف مالايطاق ، وتقريره أنه تعالى أخبر عن شخص معين أنه لايؤمن قط ، فلو صدر منه الإيمان لزم انقلاب خبر الله - عن - الصدق كذبا ، والكذب عند الخصم قبيح ، وفعل القبيح يستلزم إماالجهل وإما الحاجة ، وهما محالان على الله تعالى ، والمفضي الى المحال محال ، فصدور الإيمان منه محال ، فالتكليف به تكليف بالمحال ، الى قال بعد ذكره لصور في هذاالمعنى مؤداها هذا التقرير الذي ذكرنا ، قال : وهذاهو الكلام الهادم لأصول

---

١ غافر (٣١).

٢البقرة (٦).

٣ يس (٧) .

٤ المدثر (١٧) .

الإعتزال ، ولقد قاموا وقعدوا واحتالوا على دفعه فما أتوا بشيء مقنع واحتجوا ايضا ، بأنه كلف أبالهب بتصديقه ﷺ في جميع ماجاء به ، ومنه أن لايصدقه ، فصار مكلفا بأنه يؤمن بأنه لايؤمن ، وهو جمع بين النقيضين .

اجابت العدلية :أنه لم يكلف أن يعلم أنه كافر ، وانه من اهل النار ، كما لم يكلف أن يعلم أن في المدينة منافقون ، وان امراة لوط من اهل النار ، وامرأة فرعون من اهل الجنة ،وأن الله سبحانه أغرق فرعون وقومه ،وخسف بقارون ، وأيضا كفره سبب للإعلام من الله تعالى بأنه كافر ، وقد فعل الكفر باختياره من غير مانع ، لاأن ذلك الإعلام سبب لحصول كفره ، وإذا لم يكن الإعلام سببا لكفره ، لم يلزم التكليف من الله بالكفر ، بل حصل منه الكفر باختياره ، وايضا لم يكلف ابوجهل بالعلم بأنه كافر لحصوله عنده بسبب كفره ، فهو عالم بأنه جاحد لما جاء به النبي ﷺ ، ومنكر لشرعه ، وإذا كان كذلك ، كان تكليفه بأن يعلم ذلك محالا ، اذ هو تحصيل الحاصل ، وتحصيل الحاصل محال ، وامر الحكيم به محال ، فثبت أنه لم يكلف إلا بالإيمان بالله فقط ، وايضا قد حصل العلم الضروري بقبح ذلك في الخالق والمخلوق ، فان من كلف الأعمى بنقط المصحف ، ومن لاجناح له بالطيران عد تكليفه سفها ، وسخفا ، وذم عندالعقلاء ، وماذاك إلا لكونه تكليفا بما لايطاق ، فيجب قبحه أيضا في حق الله تعالى لحصول العلة الموجبة لقبحه .

وقال الحاكم : التكليف بما لايطاق على سبيل الجملة معلوم قبحه ضرورة . انتهى

وأيضا المحال لايمكن وجوده في الخارج من المكلف ، وكل مالم يمكن وجوده في الخارج من المكلف لايطلب ، فالمحال لايطلب .

أما الأولى فضرورية ، وأما الكبرى فلأن الطلب عبث قبيح ، لايجوز على الله تعالى كما تقرر في مسألة الحسن والقبح .

وأيضا لو سلم لهم ماقالوا في الآيات لم يضرنا ، فان غايته الإخبار من عالم الغيب بالواقع من اختياره ، لترجيح جنبة الكفر على جنبة الإيمان ، وذلك لاينافي التمكن والإختيار .

وأيضا قد أكد الشارع ذلك بقوله تعالى :(لايكلف الله نفسا الا وسعها) (١) (ولايكلف الله نفسا إلا ماآتاها) (٢) .

وقد وافق العدلية (٣) في هذه المسألة الغزالي وابن الحاجب وابوحامد وابن دقيق العيد.

فصل

قالت الجبرية : إن الله سبحانه يامر وينهى بما لايريد ، لأنه لو أراد الإيمان من الكافر والطاعة من العاصي ، وقد صدر الكفر من الكافر ، والمعصية من العاصي لزم أن لايحصل مرادالله ، ويحصل مراد الكافر والعاصي ، فيلزم أن يكون الله تعالى مغلوبا ، والكافر والعاصي غالبين عليه ، بل يلزم أن يكون أكثر مايقع من العباد خلاف مراده تعالى والظاهر انه لايصبر على ذلك رئيس قرية من

---

١ البقرة (٢٨٦) .

٢ الطلاق (٧).

٣ وافقوهم في المنع من تكليف مالايطاق .

عباده ، مع أنه قد أمر ونهى .

اجابت العدلية : انه تعالى لو أمر العاصي بالطاعة ، والمراد منه فعل الفساد والعدوان على العباد لكان قد اراد القبيح ، وترك ارادة الحسن ، وذلك قبيح عقلا ، فلا يصدر منه تعالى ، وماذكروه من لزوم كونه مغلوبا ، والكافر والعاصي غالبين إنما يتم لو أراد ايقاعها منهم على اية حال طوعا أوكرها ، لكن المعلوم ضرورة أنه لم يرد إلا ايقاعها منهم بالإختيار ، فلا مغلوبية مع ارادتها باختيارهم .

وأما أنه لايصبر على ذلك رئيس قرية .

فجوابه : أنه لايحسن من الرئيس أمر غير انزال العقوبة بمن عصاه ، والله سبحانه قد أعد للعصاة من العقاب ماأعده ، وأيضاقال تعالى :(إن الله يحكم مايريد) (١) فيلزمكم أن الكفر والفسق والزنا واللواط والظلم ، وكل فحش محكم لأن الله قد أراده ، والآية ترد هذا ، وقال تعالى :(ولايرضى لعباده الكفر) (٢) وقال تعالى :(وإن تشكروا يرضه لكم) (٣) فصريح هذا يدل على أن ارادته من لوازم أمره ، وأنه لايأمر وينهى الا بما يريد ، كيف وقد نعى الله سبحانه على المشركين مقالتهم :(لوشاء الله ماأشركنا ولاآباؤنا) فقال :(كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عنكم من

---

١ المائدة (١) .

٢ الزمر (٢) .

٣ الزمر (٢) .

علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون) (١) .

---

١ الأنعام (١٤٨) .

فصل

وأما أنه سبحانه يفعل الفعل من دون غرض وحكمة ، ولهذا قال الرازي : إنهم يتأولون كل لام في القرآن ظاهرها الغرض ، لأنه تعالى لايفعل كذ لكذا . انتهى .

فعندهم لايتقيد فعله تعالى بحكمة .

قال الرازي في مفاتيح الغيب تقريرا لهذه المسألة : حكى الشهرستاني عن ماري شارح الأناجيل ، وهي مذكورة في التوراة متفرقة على شكل مناظرة بين ابليس ، وبين الملائكة بعد الأمر بالسجود قال ابليس للملائكة : إني اسلم أن لي الها هو خالقي ، لكن لي على حكمة الله تعالى أسئلة سبعة :

الأول ـ ماالحكمة في الخلق ولاسيما أنه كان عالما بأن الكافر لايستوجب عند خلقه إلا الآلام ؟.

٢ ـ ثم ماالفائدة في التكليف مع أنه لايعود منه نفع ولاضرر ، وكل مايعود الى المكلفين فهو قادر على تحصيله لهم من غير واسطة التكليف ؟.

٣ ـ هب أنه كلفني بمعرفته وطاعته ، فلماذا كلفني السجود لآدم ؟.

٤ ـ ثم لما عصيته فلم لعنني ؟ وأوجب عقابي مع أنه لافائدة له ، ولالغيره فيه ، ولي فيه اعظم الضرر ؟

٥ ـ ثم لما فعل ذلك فلم مكنني من الوسوسة لآدم ؟

٦ ـ ثم لما فعلت فلم سلطني على اولاده ؟ ومكنني من اغوائهم ؟

٧ ـ ثم لما استمهلته المدة الطويلة في ذلك فلم أمهلني ومعلوم أن العالم لو كان خاليا عن الشر لكان ذلك خيرا ؟

قال شارح الأناجيل : فأوحى الله اليه ياابليس إنك ماعرفتني ، ولوعرفتني لعلمت أنه لااعتراض علي في شيء من افعالي ، فأنا الله لااله الا أنا، لاأسئل عما أفعل .

واعلم أنه لو اجتمع الأولون والآخرون من الخلائق ،وحكموا بتحسين العقل وتقبيحه لم يجدوا عن هذه الشبهات مخلصا ، وكان الكل لازما ، وماأحسن ماقال بعضهم : جل جناب الجلال عن ان يوزن بميزان الإعتزال .انتهى كلام الرازي.

ثم قالوا: وكيف في مطيع وكافر وطفل ، وردوا يوم القيامة فقال المؤمن لربه تعالى : لم ألزمتني المشاق في الدنيا ؟ فقال له : إني عرضتك بذلك لهذه المنازل التي أنت واصل اليها ، ولولا تكليفي لم تصل اليها .

فقال له الطفل: فهلا كلفتني لاصل الى هذه المنازل ؟

فقال : لأني علمت أنك تكفر فتستحق النار فاقتصرت بك على العوض فاخترمتك .

وقال له الكافر : فقد علمت مني أني أكفر فهلا اخترمتني كما اخترمت الطفل ؟

فيلزم أن الحجة لزمت الباري على مقتضى ماذهب اليه الخصوم .

اجابت العدلية : ان الفعل العاري عن الغرض عبث ، والحكيم لايفعله .

ثم إن الله سبحانه وصف نفسه بالحكيم العليم ، وإذا كان كذلك كان فعله حكمة وصوابا ، وسواء علمنا وجه الحكمة اوجهلناها ، قال

تعالى :(الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا) (١) ، فقد صرح بالغرض ، وأنتم تنفونه ، وصرح انه حكيم عليم ، فنعتقد أن أفعاله كلها سبحانه لغرض صحيح ، وحكمة وصواب ، لهذه الأدلة وغيرها ، وإن قصر علمنا وفهمنا عن وجه الحكمة في بعض الأشياء ، فلا يمنع ذلك كونه حكمة في نفس الأمر ، ألاترى الى قوله تعالى جوابا على الملائكة لما خفي عليهم وجه الحكمة في جعله في الأرض خليفة :(إني أعلم من الله مالاتعلمون) (٢) أي اني أعلم من الحكمة والمصلحة مالا تعلمون ، فعند ذلك يقول :(لايسئل عما يفعل) (٣) لأنه أعلم بالمصلحة والحكمة ، فما ذكرتموا من مناظرة ابليس والملائكة غير وارد علينا ، لأن له تعالى أن يختبر عباده ، وإن كان عالما بما سيكون ليعلق الجزاء على الأعمال الظاهرة لئلا يكون لهم حجة (ماكان الله ليذر المؤمنين على ماأنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب) (٤) يميزهم بالإمتحان ، وسائر البلاوي من وسوسة الشيطان وغير ذلك من الإختبارات (ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حيي عن بينة) (٥) .

وقضت حكمته باختبار من في السماء ومن في الأرض .

وقضت حكمته بالجزاء على الطاعة والعصيان ، من غير أن نوجب

---

١ الملك (٢) .

٢ البقرة (٣٠) .

٣ الأنبياء (٢٣) .

٤ آل عمران (١٧٩) .

٥ الأنفال (٤٣) .

عليه تعالى شيئا قال تعالى :(وإن كنا لمبتلين) (١) .

وقضت حكمته بأن جعل هذه الدار دار عمل واختبار ، والآخرة دار جزاء على الأعمال .

وكذلك لايلزم من مثال الطفل والكافر نقض الحكمة ، لأنا وإن جهلنا وجه ذلك ، فقد وصف نفسه تعالى بالحكمة والعلم .

ثم إنا نقول : أماالمؤمن فيجوز أن الحكمة والغرض في تكليفه لأجل ماحصل له من الثواب العظيم .

والطفل اخترمه تفضلا منه ، ولانوجب عليه التفضل للكافر لأن التفضل غير واجب ، وتركه غير مخل بالحكمة ، وأيضا الحكمة فيه الإختبار ، ولو اخترم كل عاص ، لماتمت الحكمة في الإختبار والجزاء على الأعمال .

ثم ان الأدلة قضت ان أفعاله لغرض صحيح ، فلا نقصر الحكمة على مافهمنا .

ونفيكم أن أفعاله لالغرض رد لصريح القرآن قال تعالى:(وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) (٢) وقال:(أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا) (٣) ، (يريد الله ليبين لكم ويهديكم) (٤) وقد هدى الكفار لكن لم يقبلوا (فأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى) (٥) وقال

---

١ المؤمنون (٣٠) .

٢ الذاريات (٥٦) .

٣ المؤمنون (١١٥) .

٤ النساء (٢٦) .

٥ فصلت (١٧) .

تعالى:(وماأرسلناك إلا رحمة للعالمين) (١) (لنبلوكم بالشر والخير فتنة) (٢)(لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) (٣) (تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق) (٤) (والله يقضي بالحق) (٥) (جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس) (٦) (وماجعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول) (٧) (وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم) (٨) (ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون) (٩) (وماأرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا) (١٠) (ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون) (١١) (الله الذي جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون) (١٢) (وماخلقنا السموات والأرض ومابينهما لاعبين) (١٣) (ماخلقناهما إلا بالحق) (١٤) (فإنما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون) (١٥) (وهو الذي

---

١ الأنبياء (١٠٧) .

٢الأنبياء (٣٥) .

٣ النساء (١٦٥) .

٤ البقرة (٢٥٢) .

٥ غافر (٢٠) .

٦ البقرة (٤٣) .

٧ البقرة (٤٣) .

٨ الأنبياء (٣١) .

٩ السجدة (٢١) .

١٠ سبا (٢٨) .

١١ الزمر (٢٧) .

١٢ غافر (٧٩) .

١٣ الدخان (٣٨) .

١٤ الدخان (٣٩) .

١٥ الدخان (٥٨) .

جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أوأراد شكورا)[1] .

وكم في القرآن من صريح العلة غير هذا وقد كرر في القرآن قوله (وهو العليم الحكيم) في سورة البقرة ، وفي سورة يوسف ، وفي سورة التحريم .

وكرر (العزيز الحكيم) في تسعة وعشرين موضعا من القرآن .

وكرر (عزيزا حكيما) بالنصب في خمسة مواضع .

وكرر (عزيز حكيم) بالرفع في ثلاثة عشر موضعا.

وكرر (عليما حكيما) بالنصب في عشرة مواضع .

هذا ماجاء في رؤس الآي من غير مايدل على ذلك في اثنائها .

ثم إن المجبرة يغفلون عن مذهبهم عند تعريفهم للمعجزة ، ويناقضون نفيهم الغرض ، حيث يقولون : انزل المعجزة لتصديق النبي .

قال الرازي : لايمكن الحكم بصحة ماجاءت به الأنبياء إلا على أصول المعتزلة .

فصل

وأما الآيات التي تعلقوا بها في قولهم بالجبر فقالوا: قال الله

---

١ الفرقان (٦٢) .

تعالى :(الله خالق كل شيء) (١)، (وهل من خالق غير الله) (٢).

أجابت العدلية : إن مثل ذلك إنما سيق للتمدح بأنه الخالق الرازق ، ايقاظا وتحريضا على ترك عبادة ماهو مخلوق له تعالى ، كعبادة الأحجار والشمس والقمر وغيرها من المخلوقات ، وأنه تعالى الحقيق بالعبادة دون كل مخلوق ، وأنه الرازق دونهم .

ألا ترى الى قوله تعالى في آخر قوله (هل من خالق غير الله) حيث قال:(يرزقكم من السماء والأرض) ولو كان الأمر كما زعمتم أنه خالق الكفر والفساد ، وظلم العباد لانعكس هذا التمدح ، وصار في نقيض التمدح جليا، على أنا لو فرضنا أن ذلك لم يساق للتمدح ، وأن لهم في ذلك تعلق ، فذلك مخصص بأفعالنا الإختيارية ، التي تحكم بهاضرورة العقول ، فإن الرعشة بالبرد ليست كالرعشة بالإختيار ضرورة ، ثم إنه يلزمكم خلق القرآن لأنه شيء ، وجميع الصفات القديمة لديكم لأنها أشياء .

ثم نقول : ماخص نفسه وخروجه من العموم خص افعالنا الإختيارية بالضرورة ، ثم إن معنى قولكم : لاخالق إلا الله ، لافاعل للمعاصي إلا الله ، تعالى الله عن ذلك ، وأن العصاة منزهون عن نسبة القبائح اليهم ، ومعذورون في جميع الفواحش .

---

١ الزمر (٦٢) .

٢ فاطر (٣) .

تنبيه

لما ذكر الرازي الزامات وستأتي على القول بالجبر واشكالات ، قال في مفاتيح الغيب مالفظه: فإن قال قائل : هذه الإشكالات إنما تلزم على قول من يقول بالجبر ، وأنا لاأقول بالجبر ولابالقدر ، بل أقول: الحق حالة متوسطة بين الجبر والقدر ، وهو (الكسب) .

فنقول : هذا ضعيف ، لأنه إما أن يكون لقدرة العبد أثر في الفعل على سبيل الإستقلال ، أولايكون ؟ فإن كان الأول فهو تمام القول بالإعتزال ، وإن كان الثاني فهو الجبر المحض ، والسؤالات المذكورة واردة على هذا القول ، فكيف يعقل حصول الواسطة ! أهـ.

فصل

قالت الجبرية : والذي يدل على صحة ماذهبنا اليه قوله تعالى (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة) [١] فالختم هو خلق الكفر في قلوب الكفار ، أوخلق الداعية التي هي سبب موجب لوقوع الكفر ، وكذلك ماهو بمعناها ، نحو (كلا بل ران على قلوبهم) [٢] (وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه) [٣] وفي آذانهم وقرا) (وطبع على قلوبهم) [٤] (فأعرض أكثرهم فهم لايسمعون) [٥]

---

١ البقرة (٧) .

٢ المطففين (١٤) .

٣ الأنعام (٢٥) .

٤ التوبة (٤٧) .

٥ فصلت (٤) .

، (لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين) (١) (إنك لاتسمع الموتى ولاتسمع الصم الدعاء) (٢) (أموات غير أحياء) (٣) (في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا) (٤) .

واستدلوا بقوله تعالى (ولو شاء الله مااقتتل الذين من بعدهم) (٥) ، وقالوا تقدير الآية : ولو شاء الله أن لايقتتلوا لم يقتتلوا ، ثم قال تعالى:(ولكن الله يفعل مايريد) فيوفق من يشاء ، ويخذل من يشاء ، فلو كان يريد الإيمان من الكفار لفعل فيهم الإيمان ، واستدلوا بقوله تعالى :(لله مافي السموات ومافي الأرض) (٦) ومابمعناها ، لأن أفعال العباد من جملة مافي السموات ومافي الأرض ، فوجب كونها له ، وإنما يصح أنها له لوكانت مخلوقة له.

واستدلوا بقوله تعالى :(ولاتحسبن الذين كفروا إنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا اثما) (٧) .

قالوا: اطالة المدة لاشك انها من فعل الله ، وهذا الإملاء نص أنه ليس بخير ، فيدل أنه تعالى فاعل الخير والشر .

وهذا الإملاء ليزدادوا الإثم بالبغي والعدوان ، فدل على أن المعاصي بإرادة الله ، واستدلوا بقوله تعالى :(وماأرسلنا من رسول

---

١ يس (٧٠) .

٢ النمل (٨٠) .

٣ النحل (٢١) .

٤ البقرة (١٠) .

٥ البقرة (٢٥٣) .

٦ البقرة (٢٨٤) .

٧ آل عمران (١٧٨) .

إلا ليطاع بإذن الله) [١] فدلت على أنه لايوجد شيء من الخير والشر والكفر والإيمان ، والطاعة والعصيان ، الا بإرادته ، ولايمكن أن يكون المراد من هذا الأذن (الأمر والتكليف) لأنه لامعنى لكونه رسولا إلا أن الله أمر بطاعته ، وهي غير الأذن ، وإلا كان تكريرا ، وهذا تصريح بأنه ماأراد من الكل طاعة الرسول ، بل من الذي وفقه لاالمجرمون .

واستدلوا بماورد من قوله تعالى (صم بكم عمي) [٢] واستدلوا بقوله :(من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم) [٣] ، وماورد من الضلال والهدى .

واستدلوا بقوله تعالى :(وكذلك فتنابعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا) [٤] فقد نسب الفتنة اليه تعالى ، ولو كان الإيمان أيضا من العبد مامن الله به عليه ، بل هو المان على نفسه ، واستدلوا بقوله تعالى :(كذلك زين للكافرين ماكانوا يعملون) [٥] ، وشبهها من ذكر التزيين .

وقالوا: الله المزين لهم الكفر ، واستدلوا بقوله تعالى :(وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها) [٦] قالوا: فدلت على أن الخير والشر بإرادة الله سبحانه .

---

١ النساء (٦٤) .
٢ البقرة (١٨) .
٣الأنعام (٣٩) .
٤ الأنعام (٥٣) .
٥ الأنعام (١٢٢) .
٦ الأنعام (١٢٣) .

واستدلوا بقوله تعالى :(فلو شاء لهداكم أجمعين) (١) وشبهها من ذكر المشيئة .

واستدلوا في مسألة القضاء والقدر بقوله تعالى :(فثبطهم) (٢) ، وسائر ماذكر من الآيات في معنى القضا والقدر .

واستدلوا بقوله تعالى :(وتزهق أنفسهم وهم كافرون) (٣) .

قالوا: أراد ازهاق انفسهم مع الكفر ، ومن أراد ذلك فقد أراد الكفر ، واستدلوا بقوله تعالى :(واجنبني وبني أن نعبد الأصنام) (٤) .

واستدلوا بقوله تعالى :(كذلك نسلكه في قلوب المجرمين لايؤمنون به) (٥) .

قالوا: إن الله تعالى يخلق الباطل في قلوب الكافرين .

واستدلوا بقوله تعالى :(أفمن يخلق كن لايخلق) (٦) قالوا: دلت على أن العبد غير خالق لأفعال نفسه .

واستدلوا بقوله تعالى :(ومابكم من نعمة فمن الله) (٧) قالوا: الإيمان نعمة فدل على أن الله الذي خلق الإيمان .

واستدلوا بقوله تعالى :(ولقدصرفنا في هذا القرآن ليذكروا ومايزيدهم إلا نفورا) (٨) قالوا: دلت على أنه تعالى ماأراد الإيمان

---

١ الأنعام (١٤٩) .
٢ التوبة (٤٩) .
٣ الإسراء (٨١) .
٤ ابراهيم (٣٥) .
٥ الحجر (١٢) .
٦ النحل (١٧) .
٧ النحل (٥٣).
٨ الإسراء (٤١) .

من الكفار ، وإلا لما أنزل عليهم مايزيدهم نفرة .

واستدلوا بقوله تعالى :(ولاتطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا) (١)

واستدلوا بقوله تعالى :(وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين) (٢) قالوا: دلت على أنه تعالى خالق الخير والشر .

واستدلوا بقوله تعالى :(والله خلقكم وماتعملون) (٣) .

واستدلوا بقوله تعالى :(وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم) (٤) قالوا: الله يريد الكفر من الكفار ، لأنه قيض لهم من يزين لهم ذلك .

فصل

أجابت العدلية عن هذه الآيات ومابمعناها مما استدلت به المجبرة من الأخبار - إن صحت .

أجابوا عن ذلك أنه يجب تأويلها ، وردها الى مادل عليه ضرورة العقل ، ونصوص القرآن التي لاتحتمل التأويل لوجوه : -

الأول : ان الله سبحانه أنزل القرآن ليكون حجة على الكافرين لاليكون حجة لهم ، فلو كان المراد بهذه الآيات وماناسبها من الأخبار ماذهبت اليه الجبرية لقالت الكفرة : كيف تأمرنا بالإيمان ، وقد منعنا الله منه ! وكيف تنهانا عن الكفر ، وعبادة الأصنام ، وقد خلق الله ذلك فينا ؟ وحينئذ تكون الحجة لهم على النبي ﷺ ، ويكون ذلك

---

١ الكهف (٢٨) .

٢ الأنعام (١١٢) .

٣ الصافات (٩٦) .

٤ فصلت (٢٥) .

من أقوى القوادح في النبوة ، فلما لم يكن ذلك كذلك ، علمنا أن المراد بها غير ماذهبت اليه المجبرة .

الثاني : أن الله سبحانه نعى على الكفار مقالتهم ، حيث قالوا:(قلوبنا غلف) [1] (قلوبنا في أكنة) ولو كانوا صادقين لما نعى الله عليهم ذلك ، ولكان النبي حينئذ محجوجا ، والحجة لهم .

الثالث : أنه لو كان المقصود بها أن الله خالق الكفر والإيمان ، والطاعة والعصيان لما كان ثم فائدة في بعثة الرسل ، وانزال الكتب ، وكانت عبثا ، والله يتعالى عن فعل العبث .

الرابع : انه لو كان المقصود بها ماذهبت اليه الجبرية لوجب تأويل القرآن كله غير هذه الآيات ، وآيات قليلة ، واخراجه عن ظاهره ، وأنه لاحقيقة فيه بل كله اريد به غير ظاهره ، وذلك باطل بالضرورة .

الخامس : أن الله سبحانه تحدى بالقرآن ليكون معجزة لرسوله ، فلو كان المقصود بها ماذهبت اليه الجبرية من أن الله الخالق لكل شيء ، وأن العبد لاقدرة له مؤثرة لبطل التحدي ، إذ لايعقل تحدي من لاقدرة له ، كالجمادات ، ويستوي في المعجزة القرآن وغيره ، فلايكون القرآن مختصا بالإعجاز ، لعدم قدرة العبد على شيء ، وتحديه يعود في الحقيقة على نفسه ، لأنه لاخالق وفاعل سواه ، وهو سبحانه قادر على الإتيان بمثله ، وبطل حينئذ اعجاز القرآن ، وذلك باطل عقلا .

---

١ البقرة (٨٨) .

السادس : أنا نجد تفرقة ضرورية بديهية بين الحركات الإختيارية والإضطرارية ، وجزما بديهيا بحسن المدح للمحسن ، وقبح الذم له ، وحسن الأمر والنهي ، وحسن الذم للمسيء .

السابع : إن قيل: إن بعض ماخلق الله باطل ، فبالإجماع أن من قال : إن الله تعالى يخلق ويقضي ويقدر الباطل فهو كافر .

وإن قيل: جميع ماخلقه حق لزم أن من قال : إن الله ثالث ثلاثة فهو حق ، وهذا شرك بالله تعالى .

وكذا يلزم أن يكون الزنا والربا وشرب الخمر ، وسائر المعاصي حقا [1] ، والشارع قد حرمها ، فعلمنا أن المقصود بها غير ماذهبت اليه المجبرة .

فصل

قالت العدلية : إن بعض ماتعلقت به الجبرية مُساق مَساق السبب والمسبب ، فلما حصل منهم الكفر والتمادي ، ولم يقبلوا هداية الله ، حسن منه تعالى العقوبة بالطبع والإزاغة والختم ونحو ذلك .

قال الله تعالى :(طبع الله عليها بكفرهم) [2] (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم) [3] (كذلك نطبع على قلوب المعتدين) [4] (والله

---

١ في الأم حق .
٢ النساء (١٥٥) .
٣ الصف (٥) .
٤ يونس (٧٤) .

إركسهم بما كسبوا) (فأعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه) (١) ، (بماأخلفوا الله ماوعدوه) (٢) (كلا بل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون) (٣) .

كذلك الختم مرتب على الكفر(إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لايؤمنون ختم الله على قلوبهم) (٤) الآية (وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى) (٥) (ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة) (٦) أي عقوبة لهم على تركهم الإيمان في المرة الأولى ، فالكاف بمعنى الجزاء (صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لايفقهون) (٧) أي بسبب أنهم لايتدبرون حتى يفقهوا (ومايضل به الا الفاسقين) (٨) أي المتمردين (ولاتكونوا كالذين نسوا الله) (٩) اي حقه (فأنساهم أنفسهم) بسبب ذلك حتى لم يسعوا لما ينفعهم ، والقرآن يفسر بعضه بعضا .

ولم يقل سبحانه : إن الذين ختم الله على قلوبهم ، أي ابتداء ، وكذلك ضد ذلك قال سبحانه في قول ابراهيم لأبيه :(اتبعني اهدك) (١٠) (والذين اهتدوا زادهم هدى) (١١) أي لطفا يزادوا به هدى

---

١ التوبة (٧٧) .
٢ .... .
٣ المطففين (١٤) .
٤ البقرة (٦-٧) .
٥ الليل (١٠) .
٦ الأنعام (١١٠) .
٧ التوبة (١٢٧) .
٨ البقرة (٢٦) .
٩ الحشر (١٩) .

لكونهم قبلوا الهداية فزادهم الله توفيقا مكافأة .

نعم فما في القرآن من نحو الختم والطبع ، إلا وتجده مرتبا على فعل العبد ، فيجري ذلك مجرى (فلما آسفونا انتقمنا منهم) [١] ومما يؤيد ذلك أن الختم وقع جزاء ذلك قوله :(ولهم عذاب عظيم) [٢] عطفا عليه .

ثم إن الختم بالإتفاق مجاز ، إذ هو في الحقيقة الإستيثاق ، وإذا كان كذلك فمن المعلوم أن لايستوثق من الشيء إلا إذا كان على صفة لولا الإستيثاق منه لكان على صفة أخرى ، كالإناء الملآن بالماء ، إذا لم يشد وكاه اهراق ، فإذا كان الكفر بخلق الله تعالى فلا حاجة اذا الى الختم لمنع الإيمان ، بل يكفي منه تعالى عدم خلق الإيمان ، أوخلق الكفر ، ولادخل للختم في الكفر ، فما هو إلا كالختم بالإستيثاق من الحجر التي ليس فيها مايخاف سيلانه ، ولايصح المجاز على هذا ، وكان يكفي على كلام المجبرة عن قوله تعالى :(ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة) كلمة واحدة ، وهي قوله : خلقت فيهم الكفر ، أولأني لم أخلق فيهم ايمانا .

نعم فالطبع والختم عبارة عن سلب الله تعالى اياهم تنوير القلب الزائد على العقل الكافي في التكليف مادام المكلف مصرا على

---

١٠ مريم (٤٣) .

١١ محمد ﷺ (١٧) .

١ الزخرف (٥٥) .

٢ البقرة (٧) .

عصيانه ، فشبه الله سلبهم ذلك بالختم والطبع ، أو أن الختم والطبع مكافأة كما سبق .

ومثل ماذكرنا في الختم والطبع ـ الرين والأكنة .

وأما الغشاوة والوقر والعمى ، والصمم والبكم ، وغير أحياء ، وأموات ، فتشبيه لحالهم حيث لم يعملوا بمقتضى ماسمعوا وأبصروا ، ولاعملوا بنصيحة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بمن في اذنيه وقر ، فلا يسمع ، وعلى بصره غشاوة فلا يبصر ، وبمن هوميت لايدرك ، وبمن هو ابكم لايتكلم .

وأما التزيين فالمنسوب اليه تعالى نحو (زينا لكل أمة عملهم) أي زين العمل اللائق بهم ، وهو المفروض والمندوب زينه تعالى بالوعد بالثواب ، فلم يقبلوا إلا مازينه لهم الشيطان ، أوضلال الإنس ، وكذا مابتلاهم به تعالى من النعم ، وامهال الشيطان ، فينسب اليه التزيين ، لذلك مجازا ، والمجاز الحكمي تصححه بعض الملابسات .

وأماالفتنة : فهي المحنة والإختبار بالبلاوي ، قال في الصحاح : تقول : فتنت الذهب ، إذا ادخلته النار لتعرف ماجودته ، وكذا يكون بمعنى التعذيب (يوم هم على النار يفتنون) [1] .

وأما الهدى : فهو بمعنى الدلالة ، والدعاء الى الخير ، وبمعنى زيادة البصيرة بتنوير القلب ، وبمعنى الفوز بالمطلوب ، وبمعنى

---

١ الذاريات (١٣) .

الحكم والتسمية ، قال تعالى :(فأما ثمود فهديناهم) [١] أي دعوناهم ودليناهم ، وقال :(والذين اهتدوا زادهم هدى) [٢] وقال :(يهديهم ربهم بإيمانهم) [٣] أي يثيبهم .

وقال الشاعر:

مازال يهدي قومه ويضلنا جهرا وينسبنا الى الكفار

أي يحكم ، فمعنى لايهدي القوم الظالمين ، أي لايزيدهم بصيرة ، اولايثيبهم ، أولايحكم لهم بالهدى ، أولايسميهم به .

ومعنى (يهدي من يشاء) أي يفعل أحد هذه المعاني (ويجعله على صراط مستقيم) كذلك ، وله المنة أن هدانا للإيمان بالدعاء والعقل ، وبعثة الرسل ، وزيادة التنوير .

وأما الضلال : فهو بمعنى الهلاك ، وبمعنى العذاب ، وبمعنى الغواية عن واضح الطريق .

والإضلال أيضا : بمعنى الإهلاك والتعذيب والإغواء ، وبمعنى الحكم والتسمية ، فمعنى (يضل الظالمين) و(من يشاء) أي يحكم عليهم بالضلال ، ويسميهم به لما ضلوا عن طريق الحق ، أوبمعنى يهلكهم ، أويعذبهم .

وأما ماكان منسوبا الى غيره تعالى فيجوز اغواهم وأضلهم عن

---

١ فصلت (١٧) .

٢ محمد ﷺ (١٧) .

٣ يونس (٩) .

طريق الحق ، قال تعالى :(وأضل فرعون قومه وماهدى) (١) .

والقضاء : يكون بمعنى الخلق والتقدير .

قال تعالى :(فقضاهن سبع سموات في يومين) (٢) .

وبمعنى الإلزام :(وقضى ربك أن لاتعبدوا إلا اياه) (٣) .

وبمعنى الإعلام (وقضيناالى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض) (٤) فالطاعات بقضاء الله ، أي الزامه .

والقدر : بمعنى القدرة والإحكام (إنا كل شي خلقناه بقدر) (٥) .

وبمعنى العلم :(ولكن ينزل بقدر مايشاء) (٦) اي بعلم أوبتقدير منه .

وبمعنى القذر بسكون الدال (فسالت أودية بقدرها) (٧) .

وبمعنى الإعلام قال الشاعر:

واعلم بأن ذا الجلال قد قدر   في الصحف الأولى التي كان سطر

أي أعلم .

وبمعنى الأجل :(الى قدر معلوم) (٨) .

وبمعنى الحتم:(وكان أمر الله قدرا مقدورا) (٩) فيقال الواجبات

---

١ طه (٧٩) .

٢ فصلت (١٢) .

٣ الإسراء (٢٣) .

٤ الإسراء (٦) .

٥ القمر (٤٩) .

٦ الشورى (٢٧) .

٧ الرعد (١٧) .

٨ المرسلات (٢٢) .

٩ الاحزاب (٣٨) .

بقدر الله ، أي حتمه والزامه .

وقدّر مشددا : بمعنى خلق ، وبمعنى أحكم ، وبمعنى بين ، وبمعنى قاس ، وبمعنى فرض وأوجب ، فيقال : قدر الله المعصية والطاعة أي بينهما ، وقدر الطاعة ، أي فرضها .

فصل

وأما قوله تعالى :(ولوشاء الله مااقتتل) .

الى قوله :(ولكن الله يفعل مايريد) [1] (ولو شاء لهداكم) [2]

، (وماتشاؤن إلا أن يشاء الله) [3] .

فأجابت العدلية عن ذلك ومماأشبهه :

أما قوله :(ولو شاء الله مااقتتل الذين من بعدهم من بعد ماجاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر) وهو أن الرسل بعد ماجاءتهم البينات اختلفت اقوامهم .

فتقول العدلية : إن الله سبحانه لما أوضح لهم الدلائل والبراهين ، اختلفوا فمنهم من قبل وآمن ، ومنهم من عند وكفر ، فأراد الله جهاد المؤمنين للكافرين ، ولوشاء أن يترك امرهم بالجهاد ، أوأن ينتصر لنفسه ، أويمنعهم بالقسر لفعل ، ولكن ليبلو بعضكم ببعض ، حكمة منه تعالى .

ثم قال :(ولكن الله يفعل مايريد) من التخلية بينهم وانزال البينات ، ومن سائر افعال نفسه .

وأما قوله :(ولوشاء لهداكم) [4] أي بأن يقسركم ، ولكن قضت الحكمة بالإختيار .

---

١ البقرة (٢٥٣) .

٢ النحل (٩) .

٣ التكوير (٢٩) .

٤ في الأم بالفاء .

وأما قوله :(وماتشاؤن إلا أن يشاء الله) (١) فالله سبحانه قد شاء منا الإختيار قال تعالى :(فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) (٢) وقوله :(ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها) (٣) اي الزايد على الدعاء والدلالة (وأما ثمود فهديناهم) (٤) ولكن قضت حكمته بالإختيار ، ليتعلق الجزاء بالطاعة ، والمعصية على حسب الإختيار منا .

وأما قوله تعالى :(في قلوبهم مرض) (٥) فيحتمل ألحسد والغل للنبي ومن معه ، أوالغم لما رأوا ثبات أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، واستعلاء شأنه ، أوكفرهم فزادهم الله غما بسبب استعلاء امر النبي ، أوحسدا بسبب ذلك ، أوكفرا بسبب انزال التكاليف ، والآيات كقوله تعالى :(فزادتهم رجسا الى رجسهم) (٦) ونسبته الى الله لما كان هوالسبب .

وأما قوله تعالى :(ويمدهم في طغيانهم يعمهون) (٧) يريد بيمدهم : أن يتركهم من فوائده ، ومنحه التي يؤتيها المؤمنين ثوابا لهم ، ويمنعها من الكافرين عقابا ، وذلك شرح صدور المؤمنين ، وتنويره لقلوبهم .

وأما قوله تعالى :(ولايزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم) (٨) فلفظة (ذلك) تحتمل رجوعها الى الرحمة ، لأنه تعالى

---

١ التكوير (٢٩) .
٢ الكهف (٢٩) .
٣ السجدة (١٣) .
٤ فصلت (١٧) .
٥ البقرة (١٠) .
٦ التوبة (١٢٥) .
٧ البقرة (١٥) .
٨ هود (١١٩) .

كره الإختلاف ، ولأن الرحمة أقرب الى هذه الكناية من الإختلاف ، ولايضر تذكير الكناية ، لأن تأنيث الرحمة غير حقيقي ، ومعناها هو الفضل والإنعام مذكر .

ويحتمل ان يكون رجوعه الى الإختلاف ، أي ولذلك ، وهو وجوب مخالفة المؤمن للكافر ، وعداوته له خلقهم .

وأما قوله تعالى :(ويحق القول على الكافرين) [1] فالقول العذاب ، (ولكن حق القول مني لأملأن جهنم) [2] (حقت كلمة العذاب) [3] .

وأما قوله تعالى :(لقد حق القول على أكثرهم فهم لايؤمنون) [4] ، فهو ماقاله على لسان الرسل من التوحيد وغيره ، وبيان برهانه فأكثرهم لايؤمنون لسوء اختيارهم .

وأما قوله تعالى :(لله مافي السموات ومافي الأرض) [5] ومابمعناها ، فسيق ذلك للتمدح بكمال القدرة والعلم ، والملك ، لاللتمدح بخلق الكفر والفساد .

ثم إن أفعال العباد خارجة ومخصصة كما سبق في (هل من خالق غير الله) [6] .

وأما قوله تعالى :(لاتحسبن الذين كفروا إنما نملي لهم خير

---

١ يس (٧٠) .
٢ السجدة (١٣) .
٣ الزمر (٧١) .
٤ يس (٧) .
٥ البقرة (٢٨٤) .
٦ فاطر (٣) .

لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين) (١) فالإزدياد في الإثم عقوبة لهم على معاندتهم ، وجحودهم ، وعدم قبولهم الهداية ، ولذا عطف عليه (ولهم عذاب مهين) لأن هذه الآية وماقبلها ، ومابعدها في شأن (أحد) وفي تثبيط المنافقين للمؤمنين .

وأما قوله تعالى :(وماأرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله) (٢) ، أي بسبب اذن الله في طاعته ، أوبأنه أمر المبعوث اليهم بان يطيعوه ، أوبتيسير الله وتوفيقه .

وأما قوله تعالى :(وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا) (٣) فإنهم لما نبوا عن الإيمان ، ولم يسمعوا القرآن سماع تدبر ، عاقبهم الله بذلك على ذلك ، أوأن ذلك مثل في نبو قلوبهم ، ومسامعهم عن قبوله ، واعتقاد صحته ، ووجه اسناد الفعل الى ذاته للدلالة على أنه أمر ثابت فيهم لايزول عنهم ، كأنهم مجبولون عليه .

وأما قوله تعالى :(وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها) (٤) أي خليناهم ليمكروا ، وماكففناهم عن المكر ، ثم قال :(ومايمكرون إلا بأنفسهم ومايشعرون) (٥) في معرض التهديد لهم والزجر ، وهذه تسلية لرسول الله ﷺ ، وتقديم موعد بالنصرة عليهم .

---

١ آل عمران (١٧٨) .

٢ النساء (٦٤) .

٣ الإسراء (٤٦) .

٤ الأنعام (١٢٣) .

٥ الأنعام (١٢٣) .

وأما قوله تعالى :(فثبطهم) [1] فإنما كسلهم ، لأن في خروجهم مفسدة .

وأما قوله تعالى :(قل لن يصيبنا إلا ماكتب الله لنا) [2] فمعناه في عاقبة امرنا من الظفر بالعدو ، والمقصود أن يظهر للمنافقين أن أحوال المسلمين وإن كانت مختلفة في السرور والغم ، إلا أن في العاقبة الدولة لهم ، والفتح فيكون ذلك اغتياظا للمنافقين ، وردا عليهم في فرحهم .

أويكون المعنى ماقال الزجاج : إذا صرنا مغلوبين صرنا مستحقين للأجر العظيم ، وإن صرنا غالبين صرنا مستحقين للثواب في الآخرة ، وفزنا بالمال الكثير ، والثناء الجميل في الدنيا ، فمع هذا صارت تلك المصائب والمحزنات في جنب هذا محتملة .

وفي الكشاف مالفظه : واللام في قوله :(إلا ماكتب الله لنا) مفيدة معنى الإختصاص ، كأنه قيل: لن يصيبنا إلا مااختصنا الله بإثباته ، وايجابه من النصرة عليكم ، اوالشهادة .

وأما قوله تعالى :(إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون) [3] فذلك عقوبة لهؤلاء المنافقين على كفرهم (ومامنعهم ان تقبل نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله

---

١ التوبة (٤٦) .

٢ التوبة (٥١) .

٣ التوبة (٥٥) .

ولايأتون الصلاة إلا وهم كسالى) (١) الآية .

وأما قوله تعالى :(ولله يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها) (٢) أي ينقادون لأحداث ماأراده فيهم من أفعاله شاءوا أوأبوا لايقدرون أن يمتنعوا عليه كالموت ، والفقر والعمى والزمانة .

وأما قوله تعالى :(واجنبني وبني ان نعبد الأصنام) (٣) فمعناه ثبتنا ، وأدمنا على اجتناب عبادتها بالألطاف والتوفيق .

وأما قوله تعالى :(كذلك نسلكه في قلوب المجرمين لايؤمنون به) (٤) فالمراد اقامة الحجة ، على المكذبين بأن الله سبحانه يسلك القرآن في قلوبهم ، كما سلك ذلك في قلوب المؤمنين فكذب به هؤلاء ، وصدق به هؤلاء كل على علم وفهم ، لئلا يكون للكفار على الله حجة بأنهم مافهموا وجوه الإعجاز ، كما فهمها من آمن فأعلمهم الله تعالى من الآن ، وهم في مهلة وامكان أنهم ماكفروا إلا على علم ، معاندين غير معذورين ، وهذا التفسير ذكره بعض المجبرة ، إلا أنه يصلح للعدلية ، ويجري على قواعدهم .

وأما قوله تعالى :(أفمن يخلق كمن لايخلق) (٥) وهم الأصنام (والذين يدعون من دون الله لايخلقون شيئا وهم يخلقون) (٦) وهذا من سياق نعمه تعالى ،ونعي على عباد الأوثان وانكار عليهم التسوية

---

١ التوبة (٥٤) .

٢ الرعد (١٥) .

٣ ابراهيم (٣٥) .

٤ الحجر (١٢) .

٥ النحل (١٧) .

٦ النحل (٢٠) .

بين من يخلق ومن لايخلق .

والعدلية لم يعبروا عن فعل العبد بانه خلقه ، وإنمايقولون : أوجده على حسب اختياره ، ونسبة ذلك اليهم بهت .

وقد قامت الدلالة العقلية على أن ثم فرق بين الحركة الإضطرارية والإختيارية .

وأما قوله تعالى :(ومابكم من نعمة من الله) (١) فالعدلية يعترفون أن الإيمان نعمة من الله أنعم بها على المؤمنين بالدعاء والعقل ، وبعثة الرسل ، وانزال الكتب والألطاف .

وأما قوله تعالى :(ولقد صرفنا في هذا القرآن ليذكروا ومايزيدهم إلا نفورا) (٢) فقد ذكر الله العلة في ذلك ، وهو ارادة أن يذكروا فأبوا إلا نفورا عن الحق ، وليس فيها مايدل على أنه لم يرد ايمانهم ، بل ذكر العكس .

وأما قوله تعالى :(ولاتطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا) (٣) فمعناه من جعلنا قلبه غافلا عن الذكر بالخذلان لاتباعه هواه ، أوجدناه غافلا عنه ، كقولك : جبنته ، وابخلته إذا وجدته كذلك ، أومن أغفل ابله إذا تركها بغير سمة ، أي لم نسمه بالذكر .

وقد أبطل الله توهم المجبرة بقوله :(واتبع هواه) .

---

١ النحل (٥٣) .

٢ الإسراء (٤١) .

٣ الكهف (٢٨) .

وأما قوله تعالى :(وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين) (١) ، فمعنى جعلنا حكمنا على الأنبياء بعداوة اهل الفسق والردة من المجرمين (لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله) (٢) واقتضى ذلك عداوة الكفار لهم ، فهو سبحانه الحامل والداعي الى ماستعقب تلك العداوة .

وأما قوله تعالى :(وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم) (٣) يعني لمشركي مكة ، لما تعاموا عن اتباع الحق ، وتجاهلوا وهم يعلمون أنه الحق ، وتمادوا قدرنا وأخرجنا لهم من الشياطين قرناء أخدانا ، وخذلناهم بسبب ذلك فلم يبق لهم قرناء سوى الشياطين (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا) (٤) بسبب ذلك ، ثم بين سبحانه أن بعضهم يزين لبعض ، ولم يقل ليزينوا .

وأما قوله تعالى :(والله خلقكم وماتعملون) (٥) فنذكر ماقاله الرازي في مفاتيح الغيب ، لأنه منهم ، قال مالفظه : احتج جمهور الأصحاب بقوله :(والله خلقكم وماتعملون) على أن فعل العبد مخلوق لله تعالى ، فقالوا (٦): النحويون اتفقوا على أن لفظ ما مع مابعده في تقدير المصدر ، فقوله :(وماتعملون) معناه وعملكم ، وعلى هذا التقدير صار معنى الأية : والله خلقكم وخلق عملكم .

---

١ الفرقان (٣١) .

٢ المجادلة (٢٢) .

٣ فصلت (٢٥) .

٤ الزخرف (٣٦) .

٥ الصافات (٩٦) .

٦ أي الأصحاب .

فإن قيل: هذه الآية حجة عليكم من وجوه : الأول - أنه قال تعالى :(أتعبدون ماتنحتون) أضاف العبادة والنحت اليهم أضافة الفعل الى الفاعل ، ولو كان ذلك واقعا بتخليق الله لاستحال كونه فعلا للعبد .

الثاني : أنه تعالى إنما ذكر هذه الآية توبيخا لهم على عبادة الإصنام ، لأنه تعالى بين أنه خلقهم ، وخالق لتلك الأصنام ، والخالق هو المستحق للعبادة دون المخلوق ، فلما تركوا عبادته سبحانه ، وهو خالقهم ، وعبدوا الأصنام لاجرم أنه سبحانه وتعالى وبخهم على هذا الخطأ العظيم فقال :(أتعبدون ماتنحتون والله خلقكم وماتعملون) ولولم يكونوا فاعلين لأفعالهم لما جاز توبيخهم عليها ، سلمنا أن هذه الآية ليست حجة عليكم ، لكن لانسلم أنها حجة لكم .

قوله :لفظة (ما) مع مابعدها في تقدير المصدر ؟

قلنا: هذا ممنوع ، وبيانه أن سيبويه والأخفش اختلفا في انه هل يجوز أن يقال : أعجبني ماقمت ، أي قيامك ، فجوزه سيبويه ، ومنعه الأخفش ، وزعم أن هذا لايجوز إلا في الفعل المتعدي ، وذلك يدل على أن ما مع مابعدها في تقدير المفعول عند الأخفش ، سلمنا أن ذلك قد يكون بمعنى المصدر لكنه أيضا قد يكون بمعنى المفعول ، ويدل عليه وجوه :

الأول - قوله :(أتعبدون ماتنحتون) والمراد بقوله :(ماتنحتون) المنحوت لاالنحت ، لأنهم ماعبدوا النحت ، وإنما عبدوا المنحوت ، فوجب أن يكون المراد بقوله :(ماتعملون) المعمول لاالعمل ، حتى يكون كل واحد من هذين اللفظين على وفق الآخر .

والثاني - أنه تعالى قال :(فإذا هي تلقف مايأفكون) [1] وليس المراد أنها تلقف نفس الإفك ، بل أراد العصي والحبال التي هي متعلقات ذلك الإفك ، فكذا هاهنا.

الثالث - أن العرب تسمي محل العمل عملا ، يقال في الباب والخاتم : هذا عمل فلان ، والمراد محل عمله .

فثبت بهذه الوجوه الثلاثة أن لفظة ما مع مابعدها كما تجيء بمعنى المصدر ، فقد تجيء أيضا بمعنى المفعول ، فكان حمله هاهنا على المفعول أولى ، لأن المقصود في هذه الآية تزييف مذهبهم في عبادة الأصنام ، لابيان أنهم لايوجدون أفعال نفوسهم ، لأن الذي جرى ذكره في أول الآية الى هذا الموضع هو مسألة عبادة الأصنام لاخلق الأعمال .

واعلم أن هذه السؤالات قوية ، وفي دلائلنا كثرة .

فالأولى ترك الإستدلال بهذه الآية . انتهى كلام الرازي ، وقد أنصف هنا .

فصل

قالت العدلية : ليس في ظاهر قوله تعالى حكاية عن نوح :(ولاينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن

---

١ الشعراء (٤٥) .

يغويكم) (١) خلاف مذهبنا لأنه لم يقل تعالى: إنه فعل الغواية وأرادها ، وإنما أخبر أن نصح النبي عليه الصلاة والسلام لاينفع إن كان الله يريد غوايتهم . ووقوع الإرادة لذلك أوجواز وقوعها لادلالة عليه في الظاهر ، على أن الغواية هاهنا الخيبة ، وحرمان الثواب ، قال الشاعر :

فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ومن يغو لايعدم على الغي لائما

فكأنه تعالى قال :إن كان الله يريد أن يعاقبكم بسوء اعمالكم ، ويحرمكم ثوابه ، فليس ينفعكم نصحي مادمتم مقيمين على ماأنتم عليه إلا أن تطيعوا ، وقد سمى الله العقاب غيا ، قال تعالى :(فسوف يلقون غيا) (٢) وماقبل هذه الآية يشهد بما ذكرناه ، وأن القوم استعجلوا عقاب الله تعالى ، فقالوا: (يانوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا) (٣) الى قوله :(ولاينفعكم نصحي) فأخبر أن نصحه لاينفع من يرد الله أن ينزل به العذاب .

وقيل: كان في القوم مجبرة ، فنبهم على فساد مذهبهم ، على طريقة الإنكار والتعجب من قولهم ، أي إن كان كما تقولون فما ينفعكم نصحي ، فلا تطلبوا مني نصحا ، وأنتم على ذلك لاتنتفعون به .

وقال الحسن البصري : المعنى فيها أن الله يريد أن يعذبكم فليس ينفعكم نصحي عند نزول العذاب بكم ، وإن قبلتموه وآمنتم به به ، لأن من حكم الله تعالى أن لايقبل الإيمان عند نزول العذاب .

---

١ هود (٣٤) .

٢ مريم (٥٩) .

٣ هود (٣٢) .

وقوله تعالى :(قل لوكنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم) [1] ليس فيها خلاف مذهبنا ، لأن الضمير للمنافقين الذين قالوا:(لوكان لنا من الأمر شيء ماقتلنا هاهنا) [2] فكأنه قيل للمنافقين: لوجلستم في بيوتكم وتخلفتم عن الجهاد لخرج المؤمنون الذين كتب عليهم قتال الكفار الى مضاجعهم ، ولم يتخلفوا عن هذه الطاعة بسبب تخلفكم وتثبيطكم ،ولاسامعين لكم أن تثبطوهم .

---

١ آل عمران (١٥٤) .

٢ آل عمران (١٥٤) .

فصل

قوله تعالى :(قل كل من عندالله) (١) أي الخصب والجدب والشدة والرخاء ، لأن سبب النزول ماكان من تطيرهم بالنبي ﷺ .

وأما قوله تعالى :(مأاصابك من حسنة فمن الله) (٢) فنسبها اليه تعالى ، لما كان الحسنة قد يكون ابتداؤها منه تعالى .

وأما قوله تعالى :(ومارميت إذ رميت ولكن الله رمى) (٣) لماكان هذه آية من آيات الله ، ومعجزة من معجزات رسول الله ﷺ ، لأنه لم يبق منهم أحد إلا ودخل في عينيه شيء ، ولو قسم ذلك التراب على كل نفر منهم لم يكن يبدأ على عشر عشرهم ، فما كان هذا خارجا عن طوق البشر ، خص الله ذلك من أفعال النبي ﷺ ، وكانت أفعال النبي ﷺ منه لامن الله تعالى ، إلا ماأخرجه وخصه دليل خارجي ، كهذه الآية أخرجت هذا الفعل العجيب .

ويجري مجراها قوله تعالى :(فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم) (٤) أي هو الذي خذلهم ، وأدخل الفشل عليهم والوجل ، أوأن القتل الذي نفاه الله عنهم هو قتل لم تباشره ايديهم ، وإنما باشرته ايدي الملائكة ، وإنما نسب الى الله لأن الملائكة قتلوهم بأمره وارادته .

---

١ النساء (٧٨) .
٢ النساء (٧٩) .
٣ الأنفال (١٧) .
٤ الأنفال (١٧) .

فصل

قالت الجبرية : إنهم السواد الأعظم ، أهل الحق لكثرتهم .

وقالت العدلية : السواد الأعظم عندالله أهل الحق وإن قلوا، والقرآن ورد بذم الكثرة ، ومدح القلة نحو قوله تعالى :(منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون) (١) (بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا) (٢) (ولاتزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلا) (٣) ، (ولكن كثيرا منهم فاسقون) (٤) (لايستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث) (٥) (وأن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله) (٦) (ولاتجد أكثرهم شاكرين) (٧) (وماوجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين) (٨) (ولكن أكثر الناس لايعلمون) (٩) ، (ولكن أكثر الناس لايشكرون) (١٠) (وماأكثر الناس ولوحرصت بمؤمنين) (١١) (ومايؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) (١٢) (ولكن أكثر الناس لايؤمنون) (١٣) (وأكثرهم

---

١ آل عمران (١١٠) .

٢ النساء (١٥٥) .

٣ المائدة (١٣) .

٤ المائدة (٨١) .

٥ المائدة (١٠٠) .

٦ الأنعام (١١٦) .

٧ الأعراف (١٧) .

٨ الأعراف (١٠٢) .

٩ يوسف (٤٠) .

١٠ يوسف (٣٨) .

١١ يوسف (١٠٣) .

١٢ يوسف (١٠٦) .

١٣ هود (١٧) .

الكافرون) (١) (فأبى أكثر الناس إلا كفورا) (٢) (أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أويعقلون) (٣) (وماكان أكثرهم مؤمنين) (٤) (ولكن أكثرهم لايشكرون) (٥) (ولكن أكثرهم لايعلمون) (٦) (بل أكثرهم لايعقلون) (٧) (وإن كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون) (٨) (قليلا ماتشكرون) (٩) (بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون) (١٠) وغير هذه الآيات .

فصل

قالت العدلية : والله سبحانه خلق للعباد قدرة ، يوجدون بها أفعالهم على حسب دواعيهم وارادتهم ، واستدلوا بوجوه :ـ

منهاـ أن القرآن ملآن من الأوامر والنواهي ، ولايصح من الحكيم أن يامر وينهى من لايقدر على الإمتثال .

ومنها: قوله تعالى :(من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ومأربك بظلام للعبيد) (١١) .

---

١ النحل (٨٣) .
٢ الإسراء (٨٩) .
٣ الفرقان (٤٤) .
٤ الشعراء (٨) .
٥ يونس (٦٠) .
٦ الأعراف (١٣١) .
٧ العنكبوت (٦٣) .
٨ الروم (٨)) .
٩ الأعراف (١٠) .
١٠ سباء (٤١) .
١١ فصلت (٤٦) .

ولايفهم من هذه الآية كل عاقل إلا ان صالحات أعمالنا وقبيحات أفعالنا واقفة على اختيارنا ، وأنه لو عذبنا تعالى على غير سيئة فعلناها ، أوعلى ماخلقه فينا وأوجده فينا لما قال :(وماربك بظلام للعبيد) (١) لكن الظلم ممتنع في حكمته .

ومنها قوله تعالى :(الله الذي خلقكم من ضعف ، ثم جعل من بعد ضعف قوة) (٢) (إن خير من استاجرت القوي الأمين) (٣) (وآتيناه من الكنوز ماإن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة) (٤) (كانوا أشد منكم قوة) مما صرح فيه بخلق القوة في الإنسان التي بها يتمكن من الترك والفعل ، كما قال تعالى :(وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى) (٥) فتركوا الهدى بعد التمكن .

وقال تعالى (وهديناه النجدين) (٦) .

ومنها ماقاله ابن القيم الجوزية عن نفسه ، أوحكاية عن ابن تيمية ، وإن كان منهم إلا أنه حجة عليه ، وحجة للعدلية ، قال مالفظه :

وأما القدرية الإبليسية ، فكثير منهم منسلخ عن الشرع ، الى أن قال : وراثة عن شيوخه الذين قال الله فيهم :(سيقول الذين أشركوا لوشاء الله ماأشركنا ولاآباؤنا ، ولاحرمنا من شيء ، كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا

---

١ فصلت (٤٦) .

٢ الروم (٥٤) .

٣ القصص (٢٦) .

٤ القصص (٧٦) .

٥ فصلت (١٧) .

٦ البلد (٦) .

إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون) (١) وقال تعالى :(وقال الذين أشركوا لوشاء الله ماعبدنا من دونه من شيء نحن ولاآباؤنا ولاحرمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل الا البلاغ المبين) (٢) .

وقال تعالى :(وقالوا لوشاء الرحمن ماعبدناهم مالهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون) (٣) .

وقال تعالى وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لويشاء الله اطعمه إن أنتم الا في ضلال مبين) (٤) انتهى .

ومن عرف ماسبق من مذهب المجبرة علم أن هذا عين مذهبهم ومآله .

ومنها ماذكره هذا (ابن القيم) في ذمه من استدل بالقدر على الجبر ، وهو أيضا حجة عليهم ، وحجة للعدلية ، وقد رأينا نقله لتعرف أن بديهة عقولهم تنكر مايؤول اليه مذهبهم ، وأنهم أيضا شنعوا على من صرح بما يؤول اليه مذهبهم قال مالفظه :ـ

وأما المقام الثاني : وهومقام الضلال والردى والهلاك ،فهو الإحتجاج به ، يعني بالقدر على الله وحمل العبد ذنبه على ربه ، وتنزيه نفسه الجاهلة الظالمة ، الأمارة بالسوء ، وجعل ارحم

---

١ الأنعام (١٤٨) .

٢ النحل (٣٥) .

٣ الزخرف (٢٠) .

٤ يس (٤٧) .

الراحمين ، وأعدل العادلين ، وأحكم الحاكمين ، وأغنى الأغنياء أضر على العباد من ابليس ، كماصرح به بعضهم ، واحتج عليه بما خصمه فيه من لاتدحض حجته ، ولاتطاق مغالبته ، حتى يقول قائل هؤلاء :

القاه في اليم مكتوفا وقال له　　اياك اياك أن تبتل بالماء

ويقول قائلهم:

دعاني وسدالباب دوني فهل الى　　دخولي سبيل بينوا لي قضيتي

وقال بعضهم وقد ذكر له من يخاف من افساده ؟ فقال : لي خمس بنات لاأخاف على افسادهن غيره .

وصعد رجل يوما على سطح دار له ، فأشرف على غلام له يفجر بجاريته فنزل وأخذهما ليعاقبهما ، فقال الغلام : ان القضاء والقدر لم يدعانا حتى فعلنا ذلك ، فقال : لعلمك بالقضاء والقدر أحب الي من كل شيء ، انت حر لوجه الله .

ورأى آخر يفجر بامرأته ، فبادر ليأخذه فهرب ، فأقبل يضرب المرأة ، وهي تقول : القضاء والقدر ، فقال : ياعدوة الله أتزني وتعتذري بمثل هذا ، فقالت : أوه تركت السنة ، وأخذت بمذهب ابن عباس ، فتنبه ورمى بالسوط من يده واعتذر اليها ، وقال : لولاك لضللت .

ورأى آخر رجلا يفجر بامرأته ، فقال : ماهذا ؟ فقالت : هذا قضاء الله وقدره ، فقال : الخيرة فيما قضى الله .

وقيل: لبعض هؤلاء : اليس هو يقول :(ولايرضى لعباده الكفر) [1] ! فقال: دعنا من هذا رضيه وأحبه وأراده ، ومأفسدنا غيره .

ولقد بالـغ بعضهم في ذلك حتى قال : القدر عذر لجميع العصاة ، وإنما مثلنا في ذلك كما قيل:

إذا مرضنا أتيناكم نعودكم . وتذنبون فنأتيكم فنعتذر

وبلـغ بعض هؤلاء أن عليا عليه السلام مر بقتلى النهروان ، فقال: بؤسا لكم ، لقد ضركم من غركم ، فقيل: من غرهم ؟ فقال : الشيطان والنفس الأمارة بالسوء والأماني ، فقال هذا القائل: كان علي قدريا ، وإلا فالله غرهم ، وفعل بهم مافعل ، وأوردهم تلك الموارد .

واجتمع جماعة من هؤلاء يوما فتذاكرواالقدر ، فجرى ذكر الهدهد وقوله :(وزين لهم الشيطان أعمالهم) [2] فقال: كان الهدهد قدريا ، أضاف العمل اليهم ، والتزيين الى الشيطان ، وجميع ذلك فعل الله .

وسئل بعض هؤلاء عن قوله تعالى لإابليس :(مامنعك أن تسجد لماخلقت بيدي) [3] أيمنعه ثم يسأله مامنعه ؟ قال: نعم ، قضى عليه في السر مامنعه في العلانية ، ولعنه عليه ، قال له : فما معنى قوله تعالى :(وماذا عليهم لو آمنوا بالله) [4] إذا كان هو الذي منعهم ؟.

قال: استهزأ بهم ، قال: فما معنى قوله :(مايفعل الله بعذابكم إن

---

١ الزمر (٧) .

٢ النمل (٢٤) .

٣ ص (٧٥) .

٤ النساء (٣٩) .

شكرتم وآمنتم) (١) ؟ قال: قد فعل ذلك بهم من غير ذنب جنوه بل ابتدأهم بالكفر ، ثم عذبهم عليه ، وليس للآية معنى .

وقال بعض هؤلاء: وقد عوتب على ارتكابه معاصي الله ، فقال: إن كنت عاصيا لأمره ، فأنا مطيع لارادته .

وجرى عند بعض هؤلاء ذكر ابليس وإبائه ، وامتناعه من السجود لآدم ، فأخذ الجماعة يلعنونه ، ويذمونه ، فقال: الى متى هذا اللوم ، ولو خلي لسجد ، ولكن منع ، وأخذ يقيم عذره ، فقال بعض الحاضرين : تبا لك أتذب عن الشيطان ، وتلوم الرحمن .

ومر بلص مقطوع اليد على بعض هؤلاء ، فقال: مسكين مظلوم أجبره على السرقة ، ثم قطع يده عليها .

وقيل لبعضهم: أترى الله كلف عباده مالايطيقون ، ثم يعذبهم عليه ؟ قال: والله قد فعل ذلك ، ولكن لانجسر أن نتكلم .

وقال بعض هؤلاء: ذنبة أذنبها أحب الي من عبادة الملائكة ، قيل: ولم ؟ قال: لعلمي بأن الله قضاها علي وقدرها ، ولم يقضها إلا والخيرة لي فيها .

وقرأ قاريء بحضرة بعض هؤلاء (قال ياابليس مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدي) (٢) فقال: هو والله منعه ، ولو قال ابليس ذلك لكان صادقا ، وقد اخطأ ابليس الحجة ، ولو كنت حاضرا لقلت له أنت منعته .

---

١ النساء (١٤٧) .

٢ ص (٧٥) .

وسمع بعض هؤلاء قارئا يقرأ (وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى) [1] فقال: ليس من هذا شيء ، بل أضلهم واعماهم ، قالوا: فما معنى الآية ؟ قال: مخرقة يمخرف بها .

الى أن قال: وسمعته يقول يعني ابن تيمية : القدرية المذمومون في السنة ، وعلى لسان السلف هم هؤلاء الفرق الثلاثة ، نفاته ، وهم القدرية المجوسية ، المعارضون به للشريعة الذين قالوا لوشاء الله ماأشركنا، وهم القدرية المشركية .

والمخاصمون به للرب سبحانه ، وهم أعداء الله وخصومه ،وهم القدرية الإبليسية ، وشيخهم ابليس ، وهو اول من احتج على الله بالقدر ، فقال: (بما اغويتني) [2] ولم يعترف بالذنب ، ويبوء به ، كما اعترف به آدم .

الى أن قال: ولاريب أن هؤلاء القدرية الإبليسية والمشركية شر من القدرية النفاة ، لأن النفاة إنما نفوه تنزيها للرب ، وتعظيما له ، أن يقدر الذنب ، ثم يلوم عليه ، ويعاقب ، ونزهوه أن يعاقب العبد على ماصنع للعبد فيه البتة ، بل هو بمنزلة طوله وقصره ، وسواده وبياضه ، ونحو ذلك ، كما يحكى عن بعض الجبرية ، أنه حضر مجلس بعض الولاة ، فأتي بطرار أحول ، فقال له الوالي: ماترى فيه ؟ قال: اضربه خمسة عشر ، يعني سوطا ، فقال له بعض الحاضرين ممن ينفي الجبر: بل ينبغي أن يضرب ثلاثين سوطا ، خمسة عشر

---

١ فصلت (١٧) .

٢ الأعراف (١٦) .

لطره ،ومثلها لحوله ، فقال الجبري: كيف يضرب على الحول ، ولاصنع له فيه ! فقال: كما يضرب على الطر ولاصنع له فيه عندك ، فبهت الجبري .

انتهى كلام ابن القيم الجوزية الحنبلي .

قال بعض العدلية : وغير خاف عليك ماذهبت اليه الجبرية ، وقد سبق فلا حاجة الى تكريره ، فقد وقعوا فيما شنعوا به ، وذموا ، وكفوك المؤمنة من فساد قولهم وبطلانه ، وصحة مذهب العدل ورجحانه .

وأما تسترهم بالكسب ، فهو شيء لامعنى له ، وقد سبق كلام الرازي ، وهو فحلهم ، وقد صرحوا بأن للعبد قدرة لاتأثير لها .

قالت العدلية : فلا فائدة فيها إذا ، بل لاتسمى قدرة راسا .

فصل

ومما استدلت به العدلية على صحة قولها، وفساد قول الجبرية ماقاله الرازي في مفاتيح الغيب ، حيث قال: قالت المعتزلة : قوله:(أعوذ بالله) يعني الإستعاذة بالله تبطل القول بالجبر من وجوه :

الأول: إن قوله :(أعوذ بالله) اعتراف بكون العبد فاعلا لتلك الإستعاذة ، ولو كان خالق الأعمال هو الله تعالى لامتنع كون العبد فاعلا ، لأن تحصيل الحاصل محال ، وايضا فإذا خلقه الله في العبد امتنع دفعه ، وإذا لم يخلقه الله فيه امتنع تحصيله ، فثبت أن قوله : أعوذ بالله ، اعتراف بكون العبد موجدا لأفعال نفسه .

الثاني: أن الإستعاذة إنما تحسن من الله تعالى إذا لم يكن الله تعالى خالقا للأمور التي منها يستعاذ .

أما إذا كان الفاعل لها هو الله تعالى امتنع أن يستعاذ بالله منها ، لأن على هذا التقدير يصير كان العبد استعاذ بالله من الله ، في عين مايفعله الله .

الثالث : أن الإستعاذة بالله من المعاصي تدل على أن العبد غير راض بها ، ولو كانت المعاصي تحصل بتخليق الله تعالى ، وقضائه ، وحكمه وجب على العبد كونه راضيا بها ، لما ثبت بالإجماع أن الرضاء بقضاء الله واجب .

الرابع: ان الإستعاذة بالله من الشيطان إنما تعقل وتحسن لوكانت تلك الوسوسة فعلا للشيطان ، أما إذا كانت فعلا لله ولم يكن للشيطان في وجودها اثر البتة ، فكيف يستعاذ من شر الشيطان ،بل الواجب أن يستعاذ على هذا التقدير من شر الله تعالى ، لأنه لاشر إلا من قبله .

الخامس: أن الشيطان يقول: إذا كنت مافعلت شيئا أصلا ، وأنت ياإله الخلق علمت صدور الوسوسة عني ، ولاقدرة لي على مخالفة قدرتك ، وحكمت بها علي ، ولاقدرة لي على مخالفة حكمك ، ثم

قلت :(لايكلف الله نفسا إلا وسعها) [1] وقلت: (يريد الله بكم اليسر ولايريد بكم العسر) [2] وقلت: (وماجعل عليكم في الدين من حرج) [3] فمع هذه الأعذار الظاهرة ، والأسباب القوية ، كيف يجوز في حكمتك ورحمتك أن تذمني وتلعنني .

السادس: جعلتني مرجوما ، ملعونا ، بسبب جرم صدر مني ، أولا بسبب جرم صدر مني ، فإن كان الأول بطل الجبر ، وإن كان الثاني ، فهذا محض الظلم ، وأنت قلت: (وماالله يريد ظلما للعباد) [4] فكيف يليق هذا بك ! .

فإن قال قائل: هذه الإشكالات إنما تلزم على قول من يقول بالجبر ، وأنا لاأقول بالجبر ولابالقدر ، بل اقول الحق : حالة متوسطة بين الجبر والقدر ، وهو (الكسب) .

فنقول: هذا ضعيف ، لأنه إما أن يكون لقدرة العبد أثر في الفعل على سبيل الإستقلال ، أولايكون ، فإن كان الأول فهو تمام القول بالإعتزال ، وإن كان الثاني فهو الجبر المحض .

والسؤالات المذكورة واردة على هذا القول ، فكيف يعقل حصول الواسطة ؟ انتهى كلام الرازي .

فالقول بالجبر هو لمن قال بخلق الأفعال ، والفلاسفة والدهرية .

قال الرازي: وأماالفلاسفة ، فالجبر مذهبهم ، ثم قال: والدهرية ،

---

١ البقرة (٢٨٦) .

٢ البقرة (١٨٥) .

٣ الحج (٧٨) .

٤ غافر (٣١) .

الى أن قال: فيكون الجبر لازما يعني لهم ،وذكر السبب القاضي بقول الفلاسفة والدهرية بالجبر ، في سورة الحديد .

وجوابه هذا على الفنقلة ، يصلح جوابا على من يقول : إن الله خالق أفعال العبد ، ثم يفر من الجبر بزعمه بأمور لاتعقل ، أومتناقضة ، وتكثير عبارات لاتخرجه في الحقيقة عن الجبر ولوازمه .

فصل

واستدلت العدلية على صحة ماذهبت اليه أن القرآن مملوء من الآيات الدالة على أنه لامانع لأحد من الإيمان ، قال تعالى:(وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى) [1] وهو انكار بلفظ الإستفهام ، ومعلوم ان رجلا لو حبس آخر في بيت ، بحيث لايمكنه الخروج عنه ، ثم يقول: مامنعك من التصرف في حوائجي ، كان ذلك منه مستقبحا

وكذا قوله تعالى :(وماذا عليهم لوآمنوا بالله) [2] وقوله لإبليس:(مامنعك أن تسجد) [3] وقوله :(فمالهم لايؤمنون) [4] وقول موسى لأخيه:(مامنعك إذ رأيتهم ضلوا) [5] وقوله: (فمالهم عن التذكرة معرضين) [6] .

---

١ الكهف (٥٥) .

٢ النساء (٣٩) .

٣ ص (٧٥) .

٤ الإنشقاق (٢٠) .

٥ طه (٩٢) .

٦ المدثر (٤٩) .

قال الصاحب بن عباد في فصل له في هذا الباب رواه الرازي في مفاتيح الغيب قال: كيف يأمره بالإيمان وقد منعه عنه ! وينهاه عن الكفر وقد حمله عليه! وكيف يصرفه عن الإيمان ثم يقول: (فأنى تصرفون) (١) ويخلق فيهم الإفك ثم يقول:(فأنى تؤفكون) (٢) وأنشأ فيهم الكفر ثم يقول:(لم تكفرون) (٣) وخلق فيهم لبس الحق بالباطل ثم يقول:(لم تلبسون الحق بالباطل) (٤) وصدهم عن السبيل ثم يقول:(لم تصدون عن سبيل الله) (٥) وحال بينهم وبين الإيمان ثم قال:(وماذا عليهم لوآمنوا) (٦) وذهب بهم عن الرشد ثم قال:(فأين تذهبون) (٧) وأضلهم عن الدين حتى اعرضوا ثم قال:(فمالهم عن التذكرة معرضين) (٨) انتهى كلام الصاحب .

وقال تعالى :(رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) (٩) وقال:(ولوأنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى) (١٠) ، فلما بين أنه ماأبقى لهم عذرا ، إلا وقد أزاله عنهم ، فلوكان هو

---

١ يونس (٣٢) .
٢ الأنعام (٩٥) .
٣ آل عمران (٧٠) .
٤ آل عمران (٧١) .
٥ آل عمران (٩٩) .
٦ النساء (٣٩) .
٧ التكوير (٢٦) .
٨ المدثر (٤٩) .
٩ النساء (١٦٥) .
١٠ طه (١٣٤) .

المانع لهم عن الإيمان ، لكان ذلك من أعظم الأعذار ، وأقوى الوجوه الدافعة للعقاب عنهم .

فلمالم يكن كذلك علمناأنه تعالى غير مانع .

وقال تعالى حكاية عن الكفار (وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر) (١) وإنما ذكر الله تعالى ذلك ذما لهم في هذا القول ، فلو كان أنه تعالى المانع لكانواصادقين في ذلك . فلم ذمهم عليه ؟ وقال تعالى: (نعم المولى ونعم النصير) (٢) ولوكان مع قيام المانع عن الإيمان ، كلف به ثم عذب على تركه ، لماكان نعم المولى ، بل كان بئس المولى .

ومعلوم أن ذلك كفر ، فثبت أنه ليس عن الإيمان والطاعة مانع البتة .

وأيضا أنه سبحانه لوكان فاعلا للكفر لجاز منه اظهار المعجز على يد الكذاب ، فكان لايبقى كون القرآن حجة ، فكيف نتشاغل بمعانيه وتفسيره ! .

وقال تعالى :(إلا ابليس أبى واستكبر) (٣) .

قالت العدلية : إن الله تعالى لما استثنى ابليس من الساجدين ، فكان يجوز أن يظن أنه كان معذورا في ترك السجود ، فبين تعالى أنه لم يسجد مع القدرة ، وزوال العذر بقوله :(أبى) لأن الإباء هو

---

١ فصلت (٥) .

٢ الأنفال (٤٠) .

٣ البقرة (٣٤) .

الإمتناع مع الإختيار ، أما من لم يكن قادرا على الفعل ، لايقال : إنه أبى ، ثم قد كان يجوز أنه كذلك ، ولاينضم اليه الكبر ، فبين تعالى أنه ذلك الإباء كان على وجه الإستكبار بقوله:(واستكبر) قالوا: وهو يدل على بطلان قول اهل الجبر من وجوه:ـ

احدها: أنهم يزعمون أنه لما لم يسجد لم يقدر على السجود ، لأن عندهم القدرة على الفعل منتفية ،ومن لايقدر على الشيء لايقال: إنه أباه .

ثانيها: أن من لايقدر على الفعل لايقال: استكبر بأن لم يفعل ، لأنه إذا لم يقدر على الفعل لايقال استكبر عن الفعل ، وإنما يوصف بالإستكبار إذا لم يفعل مع كونه لو أراد الفعل لأمكنه .

ثالثها: قال: وكان من الكافرين ، ولايجوز أن يكون كافرا ، بأن لايفعل مالايقدر عليه .

رابعها: أن استكباره وامتناعه خلق من الله فيه ، فهو بأن يكون معذورا ، أولى من أن يكون مذموما .

قالت العدلية : ومن اعتقد مذهب الجبر يقيم العذر لإبليس فهو خاسر الصفقة .

فصل

قالت العدلية: ومما يبطل قول الجبرية أن الله سبحانه يقول:(والله

يحكم مايريد) (١)، (صنع الله الذي اتقن كل شيء) (٢)، (ماترى في خلق الرحمن من تفاوت) (٣) .

وإذا كان الكفر والفسق والزنا واللواط ، وتظالم العباد خلقه تعالى ، كانت محكمة متقنة لاتفاوت فيها ، والمعلوم خلاف ذلك .

وأيضا القرآن كله لم يكن فيه آية ، أوشطر آية ، تنص على أنه لم يكن المانع للكافرين من الإيمان ، إلا أنه خلق فيهم الكفر وأوجده .

وأما الأخبار التي يروونها في القدر والجبر ، وشحنوا بها كتبهم ، فهي لاتقبل ممن يجر الى بدعته ، كماهي القاعدة ، وإنما يقبل في هذا الباب مااتفق عليه اهل العدل واهل الجبر ، وحينئذ يكون حكمها حكم الآيات في التأويل .

وأيضا مما يدل على أن ماأصلوه مخالف لبديهة عقولهم ، ومخالف للضرورة أنهم يجرون مع العدلية في تصرفاتهم ووعظهم ، وفقههم ، وقراءتهم ، وتأليفهم في النحو والصرف والمعاني والبيان ، فلا يلتفتون الى ماأسسوه إلا في مسارح الخلاف ، وفي غير ذلك نادر ، بل رضاهم وغضبهم في المحاورة والمخاصمة ، الخارجية يجرونها على اصل الفطرة ، ولاينتبهون (٤) لقاعدتهم ، حتى لوصفعت أحدهم ، وأخذت شيئا من ماله ، أوتناولت من عرضه ، لرأيته يشن

---

١ المائدة (١) .

٢ النمل (٨٨) .

٣ الملك (٣) .

٤ في الأم يجروها على اصل الفطرة ولاينتبهوا .

عليك الغارة ، ويذهب عليه ماأصلوه في المغازة .

وأيضا لو كان ماأصلوه حقا ، مما قدمناه عنهم لم يكن حينئذ فرق بين الظلم والعدل ، ولابين الحكمة والعبث ، ولابين الحسن والقبيح ، ولابين العلم والجهل ، ولابين الصدق والكذب ، بل كلها سواء على أصولهم ، والمعلوم بالضرورة أن ثم فرقا بين ماذكر ، وايضا لم يَرِد سبحان خالق الصلاة ، سبحان خالق الزنا ، سبحان خالق اللواط ، كما ورد سبحان خالق السموات ، وصح سبحان خالق الشيطان والكلب والخنزير .

والعجب من اهل الفطنة من علمائهم ، أنه يمر على الآيات الكثيرة ، الناصة على قول اهل العدل ، فلا يتأمل لما فيها من الدلالة على صحة القول بالعدل ، مع كثرة ذلك وصراحته ، وموافقته لمادل عليه بديهة عقولهم ، بل يتأملون في بعض تلك الآيات لما فيها من علم العربية فقط ، وإذا مروا على آية تقوي شبهة الجبر ، مع ندورها ، ومافيها من الإحتمال اطالوا فيها التأمل ، والإستخراج لما يخالف في الحقيقة النصوص القرآنية ، والبديهات العقلية .

ومما يدل على ضعف مذهب الجبر وفساده أن النقاد من المجبرة رجعوا عنه في أواخر أيامهم كالغزالي ، روى ذلك في مطلع البدور ، وعد من رجال الزيدية ، وكذلك الفخر الرازي ، روى ذلك الإمام

عزالدين (١) ، وكذلك السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني (٢) .

قال بعض العدلية :بلغنا ذلك بالسند الصحيح مع أن جماعة العترة القدماء عدلية ، وكذا المتأخرين ، إلا من غلب عليه مذهب اهل بلده ، وضعفت همته عن النظر في طلب الحق ، ودخل تحت اسر تقليد المنحرفين عن العترة ، وهم أفراد لايؤبه لهم ، ولاينظر اليهم ، لأنهم مقلدون وتابعون غير متبوعين ، وخرجوا عما أجمع عليه العترة قبل وجودهم ، وليسوا من المشهورين المحققين ، كما اشتهر السيد الشريف الجرجاني بالفطنة والتحقيق ، وهو هذا قد رجع الى العدل ، وهواللائق بفطنته ، وهمته العلوية .

فصل

ومما استدلت به العدلية من الآيات قوله تعالى :(اياك نعبد) إذ لايعقل إلا أن العابد غير المعبود .

(وإياك نستعين) كذلك ، وإلا كان المعنى نستعين بك على فعلك

---

١ هو الإمام عزالدين بن الحسن بن الإمام علي بن المؤيد عليهم السلام ،ولد لعشر ليال بقين من شوال سنة ٨٨٠هـ له مصنفات كثيرة نافعة ، توفي رحمه الله في ٢٢رجب سنة ٩٠٠هـ ، ودفن بهجرة فلله من أعمال صعدة .

٢ هو السيد الشريف علي بن محمد بن علي الجرجاني ، يرتفع نسبه الى الحسن بن علي بن ابي طالب ، ومن أجل هذا لقب بالشريف ، كما لقب بالسيد ،ولد سنة ٧٤٠هـ بلغ مبلغا من المعرفة صار بها اماما في جميع العلوم العقلية ، وغيرها ، متفردا فيها مصنفا في جميع أنواعها ، متبحرا في دقيقها وجليلها ،وطار صيته في الآفاق ، وانتفع الناس بمصنفاته في جميع البلاد .

قال العلامة محمد بن اسحاق العبدي في كتابه ابطال العناد : السيد الشريف أعظم من كان في حزب الأشاعرة الجبرية ، لكنه قد بلغنا بالسند الصحيح المتصل بابن بنته ، أنه مامات إلا وقد رجع عن هذه المذاهب الردية ،وهو اللائق بفطنته وهمته العلوية ،فلا نطيل هنا بذكر السند في رجوعه الينا ، والحمد لله الذي من علينا . اهـ توفي سنة ٨١٦هـ كتبها عبدالله ابراهيم الهادي .

، ولاوجه له .

وقوله تعالى :(كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله) (١) إذ لايعقل إلا ان الموقد غير المطفيء .

وقوله تعالى :(اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لاظلم اليوم) (٢) .

وقوله تعالى حكاية عن المشركين :(لوشاء الله ماأشركنا) (٣) ، وماهو معناها قد سبق في رد الله عليهم ، وتكذيبهم .

وقوله تعالى :(إن الله لايغير مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم) (٤) ، ولابد من المغايرة بين الفعلين ، وإلا لزم اتحاد العلة والمعلول ، والسبب والمسبب .

ومثلها قوله تعالى :(ولوبسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض) (٥) .

وقوله تعالى:(ولاتكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم) (٦) ، وهي مثل ماسبق ، وقوله تعالى حكاية (لوأن الله هداني لكنت من المتقين) (٧) ورد الله على تلك النفس بقوله :(بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت) (٨) وقوله :(إن الله لايأمر بالفحشاء) (٩) .

---

١ المائدة (٦٤) .

٢ غافر (١٧) .

٣ الأنعام (٤٨) .

٤ الرعد (١١) .

٥ الشورى (٢٧) .

٦ الحشر (١٩) .

٧ الزمر (٥٧) .

٨ الزمر (٥٩) .

٩ الأعراف (٢٨) .

وقوله تعالى :(وسيحلفون بالله لواستطعنا لخرجنا معكم) (١) الى قوله في الرد عليهم في نفي الإستطاعة :(والله يعلم إنهم لكاذبون) (٢) ، اي قد استطاعوا الخروج .

وقوله تعالى :(ماجعل الله من بحيرة ولاسائبة) (٣) الى قوله :(ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب) ولوكانت الأفعال خلقا له ماأكذبهم .

وقوله تعالى :(ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا) (٤) وعلى الجبر هو المبدل والمنعم ، ولاتغاير .

وقوله تعالى :(وإن منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وماهو من الكتاب ، ويقولون هو من عندالله وماهو من عندالله) (٥) وعلى الجبر أنه من عند الله ، وقد صرح الله بنفي ذلك ، ونسبته الى الله بهت ، لأنه تبرأ منه ، وقد ذم الله من يرم بريئا من العباد بقوله :(ومن يكسب خطيئة أواثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا) (٦) فكيف من يرم رب العالمين .

وقوله تعالى :(قل أرأيتم مانزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون) (٧) وعلى الجبر

---

١ التوبة (٤٢) .

٢ التوبة (٤٢) .

٣ المائدة (١٠٣) .

٤ ابراهيم (٢٨) .

٥ آل عمران (٧٨) .

٦ النساء (١١٢) .

٧ يونس (٥٩) .

أنهم ماافتروا ، لأن ذلك خلقه ، وهو مريد له تعالى .

وقوله تعالى :(ياأيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا) (١) ولابد في الأذية والبراء من التغاير ، وعلى الجبر هما واحد ، لأنهما خلقه ، وارادته ، لكن يقال: فلم نهى المؤمنين ، وذم قوم موسى ؟ .

وقوله تعالى :(والذين سعوا في آياتنا معاجزين) (٢) وعلى الجبر انه المعاجز لنفسه ، لأنه خلقه ، ولاوجه للذم على الجبر .

وقوله تعالى :(إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان) (٣) فأخبر أنه لايعاقب على الإكراه .

فلو كانت المعاصي خلق الله لما عاقب عليها لعدم الإختيار .

وقوله تعالى :(والذين يحاجون في الله من بعد مااستجيب له حجتهم داحضة عندربهم) (٤) فلو كان سبحانه خلق المحاجة هذه لماتوعدهم على ذلك وذمهم ، وكان المعنى: حجتي داحضة ، وذلك خطل من القول .

وقوله تعالى:(يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله) (٥) ، وعلى الجبر يكون المعنى أريد لأطفيء نوري ، وأنا أأبي ذلك ، ويكون هو المطفيء والآبي ، ولاوجه حينئذ للذم ، وهذاغير معقول .

---

١ سباء (٦٩) .

٢ الحج (٥١) .

٣ النحل (١٠٦) .

٤ الشورى (١٦) .

٥ التوبة (٣٢) .

وقوله تعالى :(إذ يبيتون مالايرضى من القول) (١) وعلى الجبر أنه خلقه وأراده ، ولاوجه للذم .

وقوله تعالى :(اتبعوا ماأسخط الله وكرهوا رضوانه) (٢) وكيف يكون سخط الله ، وهو خلقه وارادته .

وقوله تعالى :(ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم انفسكم) (٣) وعلى الجبر هماسواء ، لأنهما خلقه ، ويكون المعنى مقتي أكبر من مقتي .

وقوله تعالى بعد تعداد المعاصي :(كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها) (٤) وعلى الجبر أنه مريد له غير مكروه .

وقوله تعالى :(ورهبانية ابتدعوها ماكتبناها عليهم) (٥) وعلى الجبر أنه كتبها وخلقها .

وقوله تعالى :(ولايرضى لعباده الكفر) (٦) وعند الجبرية أنه مريد له ، وغير هذه الآيات مما تدل على صحة القول بالعدل ، وبطلان الجبر .

قال بعض العدلية :ولو أردنا الإحتجاج بجميع مافي القرآن من فاتحة التحميد الى خواتم التعويذ ، لأمكننا ذلك امكانا ظاهرا ، وكان احتجاجا قاهرا ، ألا ترى أن معنى بسم الله : أبتدي ، والحمد لله : نحمد ، وغير ذلك ، وانظر الى قوله تعالى :(اياك نعبد وإياك

---

١ النساء (١٠٨) .
٢ محمد ﷺ (٢٨) .
٣ غافر (١٠) .
٤ الإسراء (٣٨) .
٥ الحديد (٢٧) .
٦ الزمر (٧) .

نستعين) فإنِ معناه لانعبد إلا اياك ، ولانستعين الا بك ، ولابد من الحكم بأن المعبود غير فاعل العبادة وموجدها ، وإلا كان المعبود هوالعابد ، كما هو معنى مذهب اخوان الجبرية .

وخلاصة كلام أهل وحدة الوجود من الصوفية ، ثم إن الإستعانة به هل تصح أن تكون على فعله ، فيكون معنى الآية نستعين بك على فعلك ، وماحاجتنا الى هذه الإستعانة على هذا المذهب ، وهل فعله وأثره تعالى مما يستعين العبد عليه ، أم هل يصح مثل هذا لغة أوعقلا . انتهى

فائدة

ناظر ابوالهذيل أشعريا فقال: هل ثم موجود غير الله وغير ماخلق ؟ فقال الأشعري : لا ، قال ابوالهذيل : فبماذا يعذب الله الكفار ، لأنه الله ، اولأنه خلق ؟ فانقطع الأشعري ، فقال النظام: قل : لأنهم اكتسبوا المعاصي ، فقال الأشعري : كذلك ، فقال ابوالهذيل : هل الكسب شيء غير الله وغير ماخلق ؟ فقال: لا ، فقال له : فلم سخط على العصاة ، لأنه الله ، أولأنه خلق فانقطع .

وقوله تعالى :(لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين إن نشأ ننزل

عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لهاخاضعين) (١) فدلت هذه الاية على أنهم مختارون متمكنون ، وأن الله تعالى لو شاء لأنزل آية تكون سببا في خضوعهم واقرارهم رغما ، ولكن أبت حكمته الى أن يكل أمرهم الى الإختيار مع أنه لم يقل تعالى : إن نشأ نخلق فيهم الخضوع ، أوالإيمان كما هو رأي الجبرية ، فمفهوم الآية ظاهر في أن غاية الأمر نزول آية تحوجهم الى الخضوع ، لاخلق الخضوع فيهم .

فصل

قالت العدلية : لوكان فعل العبد خلقا لله لما نسب الأعمال اليهم في قوله تعالى :(فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) (٢) .

وقوله تعالى :(ووجدوا ماعملوا حاضرا) (٣) .

وقوله :(وتلك الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون) (٤) .

وقوله تعالى:(فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون) (٥) .

وقوله تعالى:(ألم تكن آياتي تتلى عليكم فاستكبرتم وكنتم قوما مجرمين) (٦) .

---

١ الشعراء (٣ ـ ٤) .
٢ الزلزلة (٧ ـ ٨) .
٣ الكهف (٤٩) .
٤ الزخرف (٧٢) .
٥ الحجر (٩٢) .
٦ الجاثية (٣١) .

وقوله تعالى:(ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون) (١) .

وقوله تعالى:(وتخلقون افكا) (٢) وقوله :(بما يصنعون) (٣) .

وقوله تعالى:(هل تجزون إلا ماكنتم تعملون) (٤) .

وقوله تعالى:(يعلمون ماتفعلون) (٥) وقوله تعالى :(لنا أعمالنا ولكم أعمالكم) (٦) ، وقوله تعالى:(وقدمنا الى ماعملوا من عمل) (٧) .

وقوله تعالى:(ومن يعمل سوءا يجز به) (٨) ونحو ذلك من الصرائح .

وقوله تعالى:(ولا تتخذوا آيات الله هزوًا) (٩) .

وقال تعالى :(فإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مماأعمل وأنا بريء مما تعملون) (١٠) .

وقال تعالى :(وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله) (١١) .

وقال تعالى :(وإن كلا لما ليوفينهم ربك أعمالهم إنه بما يعملون خبير) (١٢) .

---

١ المؤمنون (٦٣) .
٢ العنكبوت (١٧) .
٣ النور (٣٠) .
٤النمل (٩٠) .
٥ الإنفطار (١٢) .
٦ الشورى (١٥) .
٧ الفرقان (٢٣) .
٨ النساء (١٢٣) .
٩ البقرة (٢٣١) .
١٠ يونس (٤١) .
١١ التوبة (١٠٥) .
١٢ هود (١١١) .

قال بعض العدلية : ايرتاب في هذه النصوص ،ولايرتاب في قول مخلوق من مشائخ الجبرية ، والقرآن محكم ، على التوراة والإنجيل ، ولايحكم على قول جبري (ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ،ولولا كلمةسبقت من ربك لقضي بينهم ، وإنهم لفي شك منه مريب) (١) ، قل ياأيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ، ومن ضل فإنما يضل عليها وماأنا عليكم بوكيل واتبع مايوحى اليك من ربك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين) (٢) .

وقال تعالى :(ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولاهضما) (٣) فجعل عدم جزائه للعامل على عمله ظلما ، خلاف مايزعمونه من نفي الحكمة ، وجواز اثابة الكافر وعقاب المؤمن فناقضوا الاية .

نعم : ونسب الله العمل فيها الى العبد ، ورتب على هذه النسبة كون عدم الجزاء لفاعلها ظلما ، وهذا أعظم شاهد على أن العمل من العبدَ وإلا لم يكن ترك الجزاء عليه ظلما إذ لايكون عدم جزائه على ماليس لنا فيه تأثير ظلما ، كما لايكون ظالما في عدم جزاء القصير على قصره ، والأسود على سواده .

---

١ هود (١١٠) .

٢ يونس (١٠٨ - ١٠٩) .

٣ طه (١١٢) .

فصل

وأما الكسب فقالت العدلية : هو أمر لاتحقق له ، وعباراتهم ترجع الى الجبرية ، لأنهم فسروا الكسب بما يرجع الى المحلية ، أي ان العبد محل لما يجريه الله عليه من الأفعال ، فلا يجعلون الكافر هو الموجد لكفره ، بل الله تعالى هو الذي أوجده ، واثر فيه ، وليس للعبد أثر في شيء من أفعاله إذ ليس عندهم قدرة مؤثرة .

والمحققون منهم قد عرفوا أن كلامهم كلام الجبرية بعينه ، ولهذا تجد الرازي لايتحاشى من نسبتهم جبرية ، لعرفانه أن كلامهم محض الجبر ، وقد سبق له كلام في ذلك .

وكذا صرح السمرقندي في الصحائف ، وصرح الجويني في مقدمات كتابه البرهان: بأن الكسب تمويه ، بل لو سئلوا عن كل جزء من أجزاء الفعل ، ومايترتب عليه هل من الله أومن العبد ؟ فإن كان من الله فهو الجبر ، وتعطل معنى الكسب ، والجزء الإختياري .

وإن كان من العبد ، ولو جزءا ما فهو مذهب اهل العدل ، فما مرادهم إلا أن العبد استقل بالتأثير في شيء ما ، فليس لهم جواب عن هذا السؤال إلا بالجبر أوالعدل ، ومازادوا على تفسيره بالمحلية ، وماخرجوا عن زمرة الجبرية .

قال بعض العدلية: الأشاعرة تحيروا ، وحيروا أتباعهم ، وصاروا يوهمون أنهم على شيء ، وأنهم متمسكون بذنب الحق ، وهو في طرف الضلال ، وعجزوا عن التعبير عن هذا الخيال ، وهم في الباطن معترفون بأنهم في حومة الإشكال ، ألا ترى أن التفتازاني ، وهو من أشدهم في نصرة الأشعري ، ولو بمجرد الجدال قد اعترف

بصعوبة ايضاح معنى الكسب .

وقال الغزالي: لاتعرف مسألة الكسب ، لافي الدنيا ولافي الآخرة ، وقال ابن عربي : مكثت ثلاثين سنة أبحث عنها ، ولم أعرفها ، ثم اعترف بالجبر ، لحتى قال: والذي اظنه أن الأشعري إنما قال بالكسب مع معرفته أنه ليس تحته مسمى تسترا عما يلزم الجبر من اللوازم .

الى أن قال: ومن العجائب اصرارهم على دعوى الكسب مع عدم عثورهم على ماهيته قرنا بعد قرن ، منذ عصر الشيخ أبي الحسن الى تاريخنا ، وقد تعب من تعب منهم في البحث عن حقيقته ، وأفنى عمره في طلب معرفته فلم يجد مايشفي ، وكأنهم يلتسمون محله الذي واراه فيه الشيخ الكبير ، ويظنون بأنفسهم القصور ، أوالتقصير ، فهم في هذا التعب والشقا، ولم يعلموا أن الشيخ إنما دفنه تحت بيضة العنقاء (١) .

ومن عجائبهم : انهم يقولون : إن الكسب كان مذهب النبي ﷺ والصحابة والتابعين ، وإن هذا أمرا كان مأنوسا ، ثم يرتبون على هذا الإفتراء صرف جميع مافي القرآن من ذكر لفظ الكسب الى اصطلاح الأشعري ، ويتركون اللغة العربية ظهريا ، وهو من جنس تحريف الباطنية ، ويغفلون عمايوردونه هم من مجادلة ابي بكر وعمر في ذلك ، وذهاب احدهما الى الإختيار ، والآخر الى الجبر ، وترافعهما الى النبي ﷺ وقوله لهما : إن المجادلة في ذلك قد

---

١ العنقاء طائر متوهم يضرب به المثل فيما هو مستحيل . تمت من المعجم الوجيز .

وقعت بين جبريل وميكائيل ، ولم يجيء في ماورووه هم ذكر الكسب والتوسط بزعمهم ، ولاذكر في المناظرات منذ عصر النبي ﷺ الى عصر الأشعري ، وكانت المناظرة في خلق الأفعال لاتزال ، وماكان الناس إلا فرقتين جبرية وعدلية .الى أن قال : ومن عجائبهم تصدرهم للوعظ ، وكثرة تصنيفهم فيه ، ومذهبهم يقتضى أن هذا من جملة العبث ، إذ لاحاصل فيه إن لم يخلق الله الطاعة ، ومع خلقه لها لاحاجة الى الوعظ ، ولايصلح أن يكون الوعظ سببا لخلق الله الطاعة ، إذ لاتكون افعاله تعالى ناشئة عن علل كما هو مذهبهم .

ومن تصفح ماتعلقوا به في اثبات مذهبهم علم انهم جبرية ، فقوهم : لاموجد إلا الله لو سالتهم عن الكسب الذي لاتدرك ماهيته ، هل اوجده العبد باختياره ؟ وقدرته المؤثرة ، أوالله سبحانه الذي أوجده ؟ لقالوا: الله الذي اوجده إذ ليس للعبد قدرة مؤثرة ، وهذا الجبر ، وإن قالوا بالأول فهو مذهب اهل العدل .

حكاية

روى عن ابي حنيفة قال: دخلت المدينة فأتيت أباعبدالله فسلمت عليه وقمت من عنده ، ورأيت ابنه موسى في دهليزه قاعدا في مكتبه ، وهو صغير السن ، فقلت له أين يحدث الرجل عندكم إذا أراد ذلك ؟ فنظر الي ، ثم قال: يتجنب شطوط الأنهار ، ومسقط الثمار ، وافناء الدور ، والطرق النافذة ، والمساجد ، ويضع ويرفع بعد ذلك حيث شاء .

قال: فلماسمعت هذا القول نبل في عيني وعظم في قلبي ، فقلت

له جعلت فداك ممن المعصية ؟ فنظر الي ثم قال: اجلس حتى اخبرك ، فجلست فقال: إن المعصية لابد أن تكون من العبد أومن ربه ، أومنهما جميعا ، فإن كانت من الله فهوأعدل وأنصف من أن يظلم عبده ، ويأخذه بما لم يفعله ، وإن كانت منهما فهو شريكه ، والقوي اولى بإنصاف عبده الضعيف ، وإن كانت من العبد وحده فعليه وقع الأمر ، واليه توجه النهي ، وله حق العقاب والثواب ، ووجبت الجنة والنار ، قال: فلما سمعت ذلك قلت : (ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم) [1] وقد نظم هذا المعنى شعرا فقيل:

لم تخل افعالنا اللاتى نذم بها   احدا ثلاث خلال حين نأتيها
أما تفرد بارينا بصنعتها   فيسقط اللوم عنا حين ننشيها
أوكان يشركنا فيها فيلحقه   ماسوف يلحقنا من لائم فيها
أولم يكن لإلهي في جنايتها   ذنب فما الذنب إلا ذنب جانيها

فائدة

قال ابوالهذيل: قال لي المعذل بن غيلان العبدي : ياأبا الهذيل إن في نفسي شيئا من قول القوم في الإستطاعة فبين لي مايذهب بالريب عني ، فقال: خبرني عن قول الله عز وجل :(وسيحلفون بالله

---

١ آل عمران (٣٤) .

لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم إنهم لكاذبون)[١] ، هل يخلو من أن يكون أكذبهم ، لأنهم مستطيعون الخروج ، وهم يكذبون ، فيقولون: لسنا نستطيع ولو استطعنا لخرجنا معكم ، فأكذبهم الله تعالى على هذا الوجه؟.

أو يكون على وجه آخر ، يقول: (إنهم لكاذبون) أي ان اعطيتهم الإستطاعة لم يخرجوا فتكون معهم الإستطاعة على الخروج ، ولايخرجون - ولايكون الخروج - وعلى كل حال قد كانت الإستطاعة على الخروج ، ولايكون الخروج ، ولايعقل للآية معنى ثالثا غير الوجهين الذين ذكرناهما .

فصل

واعلم انه قد جاء عن النبي ﷺ أن القدرية مجوس هذه الأمة ، واتفق اهل الملة على صحة هذا الخبر ، واختلفوا فيمن أراده ﷺ فقالت العدلية : إن القدرية هم المجبرة ، والمجبرة هم كل من زعم أن المكلف لااختيار له في فعله ، وأنه مخلوق فيه .

يدل على أنهم هم القدرية أنهم يقولون : إن المعاصي بقدر الله ، ونحن ننفي ذلك عن الله سبحانه ، والنسبة في لغة العرب من الإثبات لامن النفي ، كجبري لمن اثبت الجبر ، وثنوي لمن أثبت الهامع الله ، لالمن ينفي ذلك .

وقالت المجبرة : بل العدلية هم القدرية ، لأنهم أثبتوا قدرة

---

١ التوبة (٤٢)

للعبد .

قالت العدلية : فالنسبة اليهم حينئذ قدري بضم القاف وسكون الدال ، والحديث بفتح القاف .

قالوا: هو من تغيرات [1] النسب .

قالت العدلية قوله ﷺ :(القدرية مجوس هذه الأمة) جاء في مقام التحذير منهم ، والقول بمقالهم ، فلا ينبغي أن يجعل أول كلامه ﷺ مغيرا في هذا المقام الذي هو من أخطر مقامات الضلال ، لأنه يكون نوعا من التلبيس ، فلا يحسن الإتيان بالقاف مفتوحة فيما حقه الضم .

ثم إن المجبرة يلهجون بذكر القدر فصحت النسبة اليهم ، ولم تلهج العدلية به ، بل يقولون : الطاعة والمعصية فعل العبد ، ألاتراهم يفزعون عند معاصيهم اليه ، ويضيفون ذلك الى الله فيقولون : قضاء الله وقدره ، ومن لهج بالشيء نسب اليه ، كمايقال: طبيعي لمن يثبت للطبع تأثيرا ، ثم إنه قد صح عن المجوس إنهم يقولون: إن الله تعالى أراد منهم وطيء الأمهات ، وشرب الخمور ، وهذاعين مذهب المجبرة .

وقد سبق لابن القيم أن المجبرة قدرية ، ومذهبهم واحد ، ولانسلم مانسبه الى العدلية ، فقد شهدوا بذلك على أنفسهم ، ثم إنهم لم ينظروا أنه لو صح مازعموا أن النسبة لأجل اثبات قدرة للعبد لشملهم ذلك ، لقولهم : بأن للعبد قدرة غير مؤثرة ، فقد اشتمل

---

[1] تغييرات النسب .

المذهبان على القول بالقدرة مع قطع النظر عن بيان ماهيتها ، ولانظر للنسبة الى الحقائق ، فهم شركاء في ارجاع النسبة الى القدرة .

فصل

لوكان القدرية على ماتزعمه الجبرية إنهم العدلية لزم التناقض في حديثه ﷺ ، لأن العترة كلهم على مذهب العدل ، وهم متوارثون ذلك من أمير المؤمنين علي عليه السلام ، وقدماء اولاده الى أن صاروا نسبتين ، قاسمية وناصرية ، وقاموا في تشييد العدل وجاهدوا وألفوا في ذلك التآليف ، وشددوا على المجبرة وناظروا وأصلحوا ، وقد قال ﷺ (أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهوى) وقال: (إني مخلف فيكم كتاب الله وعترتي أهل بيتي) وغير ذلك ، فإذا كان مجوس هذه الأمة عترته ، وأهل بيته ، فكيف حال بقية الأمة ، وكيف تسلم الأحاديث من التناقض على ماقاله المجبرة .

حكاية

روي أن شيخا حضر صفين مع امير المؤمنين عليه السلام فقال: اخبرنا ياأمير المؤمنين عن مسيرنا الى الشام أكان بقضاء من الله وقدر ؟ قال له: نعم يأخا اهل الشام ، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ماوطئنا موطئا ، ولاهبطنا واديا ، ولاعلونا تلعة إلا بقضاء من الله وقدر) فقال الشامي : عندالله احتسب عنائي ياأمير المؤمنين ،

وماأظن أن لي أجرا في سعيي إذا كان الله قضاه علي وقدره ، فقال له عليه السلام :(إن الله قد أعظم لكم الأجر على مسيركم وأنتم سائرون ، وعلى مقامكم وأنتم مقيمون ، ولم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين ، ولااليها مضطرين ولاعليها مجبرين) فقال الشامي: كيف ذلك والقضاء والقدر ساقانا ، وعنهما كان مسيرنا وانصرافنا ؟ فقال له علي عليه السلام :(ويحك ياأخا أهل الشام لعلك ظننت قضاء لازما ، وقدرا حاكما لوكان كذلك لبطل الثواب والعقاب ، وسقط الوعد والوعيد ، والأمر من الله والنهي ، ولما كان المحسن اولى بثواب الإحسان من المسيء ، والمسيء اولى بعقوبة الذنب من المحسن ، تلك مقالة عبدة الأوثان ، وحزب الشيطان ، وخصماء الرحمن وشهداء الزور ، وقدرية هذه الأمة ومجوسها إن الله أمر عباده تخييرا ، ونهاهم تحذيرا ، وكلف يسيرا ، وأعطى على القليل كثيرا ، ولم يطع مكرها ، ولم يعص مغلوبا ، ولم يكلف عسيرا ، ولم يرسل الأنبياء لعبا ، ولم ينزل الكتاب لعباده عبثا ، ولاخلق السموات والأرض ، ومابينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار) .

قال الشامي: فما القضاء والقدر الذي كان مسيرنا بهما وعنهما ؟ قال: (الأمر من الله بذلك والحكم ثم تلا (وكان أمر الله قدرا مقدورا) الى آخر الحكاية نقلت ذلك من أمالي السيد المرتضى .

وروى حكاية الشامي الأمير الحسين ، ورواها الحاكم ابوسعيد في كتابه جلاء الأبصار بإسناده الى زيد بن علي عن ابيه عن جده تركت ذكر السند اختصارا ، وقد روي ذلك في كنز العمال وضعفها ، لأنها

بهدم قواعدهم .

فصل

قال الجاحظ : نازع رجل عمرو بن عبيد في القدر ، فقال له عمرو: إن الله تعالى قال في كتابه مايزيل الشك عن قلوب المؤمنين في القضاء والقدر ، قال تعالى:(فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون) [1] ولم يقل لنسألنهم عما قضيت عليهم ، أوقدرته فيهم ، أوأردته منهم ، أوشيأته لهم ، أوليس بعد هذاالأمر إلا الإقرار بالعد ، والسكوت عن الجور الذي لايجوز على الله .

عجيبة

المجبرة يذمون العدلية على قولهم بالعدل ، ويتبرأون منهم ، وغفلوا عن مذهبهم أنه بقضاء الله وقدره ، وانه يجب عليهم الرضاء بالقدر ، فلا يذمون أهل العدل .

فإن قالوا: إنما ذميناهم ، وشنعناعليهم بقضاء وقدر ، مجبرين على ذلك ، قيل لهم ، فهل أنتم معذورون في عدم رضاكم فيما قدر على العدلية من القول بالعدل ، لأنه قدر عليكم أن لاترضوا بذك القدر ، وقدر عليكم الذم لهم ؟

فإن قالوا: نحن معذورون لأجل القدر كان الكفرة والفسقة وجميع اهل المعاصي معذورين للإشتراك في العلة ، وحينئذ بطلت فائدة

---

[1] الحجر (٩٢) .

انزال الكتب وارسال الرسل .

وإن قالوا: نحن غير معذورين ، قيل: فأنتم الآن عصاة مصرون بعدم رضاكم بما قدر على العدلية ، وبذمكم لهم ، ومع هذا تدعون أنكم أهل الحق ، وأهل السنة ، والعدلية اهل البدع والأهواء ، لأن العدلية قالوا: إن الله عدل حكيم لايشاركه في القدم غيره ، وان جميع أفعاله حكمة مقصودة له ،ليست اتفاقية ، وأنه تعالى منزه عن فعل الفحشاء ، وارادتها والأمر بها ، وأنه تعالى ليس بظلام للعبيد ، فلم يكن ليعاقب أحدا ، بغير عمله الذي اوجده ذلك العامل من ذكر وأنثى .

ولاينهى عن الكفر ثم يوجده هو في عبيده ، ولاخلق السوات والأرض عبثا ، وأن الفحشاء والقبائح من أفعالنا ، وأن حجة الله تعالى قائمة علينا ، بالتمكين من الطاعة ، والمعصية ، وأنه قد أنعم علينا بالقدرة على أفعالنا كما أنعم علينا بالسمع والبصر والفؤاد ، كل أولئك كان المرء عنه مسؤلا .

وأن الأنبياء ماأرادوا إلا مايريد الله ، ولاكرهواإلا مايكرهه تعالى ، وأنه سبحانه يوصف بأنه مريد ، وكاره ، وأنه يجب [1] الرضاء بما اراده الله ورضيه ، ويجب الرضاء بالقضاء حلوه ومره ، وخيره وشره ، وأن أفعالنا ليست بقضاء علينا ، وقدر جبرا .

وأنه تعالى حي عالم قادر بلا حاجة الى مالايكون حيا قادرا عالما إلا به ، وأنه غني عن كل شيء ، وهو على كل شيء قدير ، لايعجزه

---

١ في نسخة بالحاء المهملة .

شيء ، وأنه يستحيل عليه سبحانه الكذب ، أويصدق الكذابين بانزال المعجزات على أيديهم ، لكونه لايفعل القبيح ، وأنه مختار متمكن من جميع افعاله ، وعلمه تعالى قديم متعلق بالأشياء على ماستكون عليه .

وأنه قد هدى من هدى فأكثرهم استحب العمى على الهدى ، وأنه لو أراد أن يكون الناس امة واحدة لكانوا ، ولكن قضت حكمته ان يكونوا مختارين لتتم الحجة ، وأنه لم يعص مغلوبا ، وأنه لاشبيه له ، ولامثيل ، ولاتحويه الأماكن ، ليس بجسم ولاعرض (لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير) (١) (ولايحيطون به علما) (٢) ، (ولم يكن له كفؤا أحد) (٣) (فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون) (٤) الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم) (٥) .

حكاية

روي ان الإمام الهادي عليه السلام لما دخل صنعا إجتمع لمناظرته سبعة آلاف فقيه منهم ، واختاروا منهم سبعمائة فقيه ، وكبيرهم النقوي ، فلما حضروا للمناظرة ، قال النقوي للهادي عليه السلام : ياسيدنا ماتقول في المعاصي؟ فقال الهادي عليه السلام : ومن العاصي ؟ فلم

---

١ الأنعام (١٠٣) .

٢ طه (١١٠) .

٣ الصمد (٤) .

٤ الأنعام (٨١) .

٥ الأنعام (٨٢) .

يجبه النقوي بشيء ، وبقي متحيرا فلامه أصحابه بعد ذلك ، فقال: إن قلت : الله كفرت ، وإنِ قلت :العبد خرجت من مذهبي ، ثم ثبت الحكم بعد ذلك في صنعاء بمذهب اهل العدل .

حكاية

روي أن الحجاج بن يوسف كتب الى الحسن البِصري ، وواصل بن عطاء ، وعمرو بن عبيد ، يسألهم عن العقوبة على أفعال الشر هل هي من أفعال الله ، أومن أفعال العبيد ؟ فكتب اليه الحسن يقول: ماسمعت في ذلك إلا قول علي عليه السلام فإنه قال:(اترى الذي نهاك دهاك ، إنما دهاك اسفلك وأعلاك ، والله بريء من ذلك .

وكتب اليه واصل بن عطاء ماسمعت فيه إلا قول غلي عليه السلام فإنه قال: (أيدلك الطريق ، ويلزم عليك المضيق) .

وكتب اليه عمرو بن عبيد ماسمعت في ذلك إلا قول علي عليه السلام فإنه قال: إذا كان القضاء حتما ، كانت عقوبة المأمور ظلما) فلما وصلته الكتب وكلها مسندة الى أمير المؤمنين قال: قاتلهم الله لقد أخذوها من عين صافية .

فصل

إذا حققت ماأسلفنا ظهر لك أن هؤلاء الجبرية عدلوا عن الطريق المرضية ، وأنهم خالفوا بديهة العقول ، وخدعوا أنفسهم ، ولم ينظروا في ذلك نظرا صائبا ، فإذا لم يحسنوا النظر في هذه المسألة الواضحة ، فكيف نظرهم فيما لم تدل عليه بديهة العقول ،

وانما يدل عليها المنقول ، فكيف يعتمد على انظارهم من يريد طلب الحق بعد ضلالهم في المسألة الجلية .

فالصواب اجتناب اصولهم ، وقواعدهم ومذاهبهم بالكلية ، ولنذكر من ذلك ماعثرنا عليه من نقل العلماء عنهم ، وإن لم نأت على الجميع .

فنقول وبالله التوفيق : قالت الجبرية الذين جميع مذهبهم ماسبق أنهم اهل السنة ، ونذكر من قواعدهم ومذاهبهم أمورا :

الأول : التشبيه والتجسيم ، فالحنابلة دانوا بذلك حقيقة ، وسائر السنية بطريق الإلتزام ، لتجويزهم الرؤية .

الثاني:اعتقادهم أن القرآن قديم مع الله تعالى ، وتهالكهم في ذلك ، وتكفير من يعتقد أنه مخلوق لله تعالى .

الثالث : اعتقادهم أن الله سبحانه هو الفاعل للكفر في الكفار ، ولجميع المعاصي في اهل العصيان ، وأنه يريدها .

الرابع : اعتقادهم أن الله ماخلق الكفار إلا للكفر ، والمسلمين إلا للإسلام .

الخامس: اعتقادهم أن الله سبحانه يفعل الأشياء لالحكمة وصواب فيضل من يشاء بغير استحقاق من الضال ، ويهدي من يشاء بغير سبب من المهتدي .

السادس : اعتقادهم أن الله سبحانه في الآخرة يأخذ قبضة من الناس فيضعها في النار ، ولايبالي ، ولو كانت من الأنبياء والأولياء ، ويأخذ قبضة فيضعها في الجنة ولايبالي ولو كانت من الكفار والأشقياء

السابع : اعتقادهم أن مع الله سبحانه سبعة قدماء ، ويسمونها بالصفات القديمة .

الثامن : اعتقادهم أن أطفال المشركين الكفار ، الذين لم يذنبوا يدخلون مع آبائهم النار ، وكذا جميع ناقصي العقول ، وهذا من أعظم الإفتراء على الله سبحانه .

التاسع : اعتقادهم أن الله سبحانه يرى بالأبصار .

العاشر : اعتقادهم أن سلاطينهم الجورة الفجرة حكمهم حكم الأئمة الراشدين في امضاء الأحكام ، ووجوب الطاعات لهم على العلماء وغيرهم ، وتولية الأمور الدينية من جهتهم ، لأجل قوة شوكتهم ، وبسبب هذه القوة استحقوا الطاعة ، وأن المنكر عليهم المعاصي ، والخارج لمنابذتهم عن الجوروالمعاصي باغ عاص ، والله سبحانه يقول:(لاينال عهدي الظالمين) (١) ويقول: (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) (٢) ويقول: (وماكنت متخذ المضلين عضدا) (٣) ، ويقول: (ولاتركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار) (٤) وغير ذلك .

وأما الأخبار فكثيرة ، وكيف يقوم مقام النبي الفجرة الظلمة .

الحادي عشر : انهم قبلوا في الحديث عن النبي ﷺ رواية المجروحين ، والصبيان والعوام الذين لامعرفة لهم بصحة الكلام .

الثاني عشر: انهم متهالكون في البدع ، التي توافق هواهم ،

---

١ البقرة (١٢٤) .

٢ المائدة (٥٥) .

٣ الكهف (٥١) .

٤ هود (١١٣) .

كنصبهم للمقامات الأربعة في الجوامع الكبار ، وفي الحرم الشريف [1] ، ويصلون فيها اربع جماعات بأربعة ائمة ، وهذا مما اجمع على أنه بدعة ، وانما حملهم على ذلك التعصب في المذهب ، لأن بني العباس كانت تحمل العداوة ، لأولاد امير المؤمنين علي عليه السلام ، وكان في العلماء من يعتقد حب اولاد علي عليه السلام ، ويفضلهم على بني العباس لقربهم من رسول الله ﷺ فتبعهم أكثر الزهاد واهل التقى ، فأرادت بنو العباس أن تميل العامة عن اقوالهم وأتباعهم ، وتحيلوا عليهم بالمقامات ، وحملوهم على مذاهب الفقهاء الأربعة ، فهذه المناصب لم يكن لله فيها شيء ، وإنما هي تعصب محض ، وفتنة للعامة عن اتباع اهل بيت النبوة ، ومعدن الرسالة .

الثالث عشر : انهم يترافعون عند الظلمة ، ويريد بعضهم هلاك بعض وبعضهم يسمم لبعض ، لأجل المناصب والجوامك ، وهذا لاشك فيه من خبرهم ، ويتسمون بأهل السنة ، وهم في الحقيقة أهل البدعة .

الرابع عشر: أنهم سووا بين الصحابة ، وأنهم في الفضل والعدالة سواء ، ولايفرقون في قبول الرواية بين صالحهم ومجاهرهم ، ولابين معصومهم ومخذولهم .

الخامس عشر: اعتقادهم أن مشائخ الصوفية في منزلة النبوة ، يجرى لهم من الكرامات مايجرى للأنبياء من المعجزات ، إلا أن الأنبياء يجب عليهم أن يظهروا المعجزات ، والصوفية يجب عليهم ان يكتموا الكرامات ، ولاخلاف أن فضلاء الصحابة أفضل من الصوفية

---

[1] كان هذا سابقا ، أما الآن فقد أزيلت من الحرم الشريف .

، ولم يعلم أن أحدا منهم افترى عنه ، كما يفتري هؤلاء عن الصوفية من الطيران ، ومسيرة شهر في ساعة من يوم ونحو ذلك مما لم يظهر للنبي ﷺ دع عنك الصحابة .

السادس عشر : أنهم تولوا اعداء اهل بيت رسول الله ﷺ كمن قاتل عليا ، والحسن والحسين ، وسائر بني هاشم ، إذا كان لديهم صحابيا ، وأن مقاتل عترته والمعادي لهم ، والسام لهم والشاتم لهم ، والمبغض والمحرب لهم من اهل الجنة ، لأنه بزعمهم صحابي ، وغفلوا عن ماارووا في كتبهم أن رسول الله ﷺ حرب لمن حارب اهل بيته ، وعدو من عاداهم ، والوعيد لهم ، وتركوا تلك الأحاديث وغيرها من الآيات ظهريا .

السابع عشر: أنهم لايعرفون من ذرية رسول الله ﷺ بعد الحسنين احدا ، ولايذكرون أحدا من علمائهم ، وفضلائهم بخير ، كما يذكرون أشياخهم ، ولايذكرون مجتهدي اهل البيت في تآليفهم ، ولاكأنهم من سائر علماء الإسلام .

وقد رووا في كتبهم قوله ﷺ :(إني خلفت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض) فهؤلاء فرقوا بينهم وبين الكتاب ، وأخملوا ذكرهم ، وتركوا التبرك بمأثرهم ، والآخذ بعلومهم وأحكامهم ،وقد رووا قوله ﷺ :(أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهوى) وغير هذا كثير مما رووه في اهل البيت ، بل جردوا كتبهم عن ذكر اقوالهم ، كل ذلك مودتهم التي امر الله بها لقربى الرسول ﷺ (ألا الى الله تصير الأمور) .

الثامن عشر: انهم بزعمهم هم الحاكمون على السنة ، فما صححوه فهو الصحيح ، وماضعفوه فهو الضعيف ، وماوضعوه فهو الموضوع .

وقد اشتمل تصحيحهم على احاديث الجبر والقدر ، والتجسيم ، ومايصحح لهم هذه الأمور التي سبقت ، والإغراء على المعاصي وماخالف نصوص القرآن ، وأن من جرحوه فهو المجروح (1) وإن كان من اهل التقى ، ومن عدلوه فهو العدل ، وإن كان من المجاهرين ، ومن روى مايخالف هواهم عدوه بتلك الرواية مجروحا .

وحكموا بصحة البخاري ومسلم ، وأنه لايبحث عن رجالهم (2) ، ولاكلام فيهم ، مع أن البخاري من المشمرين في بدعة خلق الأفعال ، حتى صنف فيها كتابا .

وقد اشتمل البخاري ومسلم على أحاديث من هذه البدع التي ذكرناها ، ومن خالفهم في بدعهم هذه فهو غير مقبول سيما اذا كان من صفوة الشيعة .

ومن عادى اهل البيت ومذهبهم فهو ثقة لديهم .

وعلى الجملة فهم في بدعهم هذه واصطلاحهم في الأحاديث ،وقواعدهم فيها مجانبون لما عليه العترة ، وصفوة الشيعة ، وانحرافهم عن اهل البيت متقدمهم ومتاخرهم ، واضح لمن اختبر كتبهم ، فكيف يركن اليهم في الدين في مثل هذه البدع .

---

1 قال في شرح المجموع : قد ثبت في عرفهم أن كل من اتصف بالتشيع فهو مظنة الكذب ، فيطرحون عليه هذا الإسم بلا تردد ، الى أن قال: وهذا من الغلو المذموم والتجاسر البين .

2 وقد ذكر الذهبي أن في البخاري ومسلم من لم يعرف اسلامه فضلا عن عدالته ، تمت من شرح المجموع للسياغي .

أما من لم يعض على قواعد اهل البيت ، وصفوة الشيعة بناجذ ، فلا ينبغي له مطالعة كتبهم ، بل يشتغل بما يقربه الى الله تعالى ، وذلك في كتب الآل وأتباعهم .

وأما من قد عرف قواعد اهل البيت ، وشيعتهم ، ومارس كتبهم فروعا وأصولا ، ولاسيما اصول الفقه وعلم كلامهم ، وشيئا مما قيل في الأخبار ، وفي الحديث في رسائلهم ومؤلفاتهم فمعرفة الشيء خير من جهله ، ويأخذ الحكمة من كتب العامة ويدع البدعة .

ولابد مما يعثر إن شاء الله على مايطمئن قلبه في صحة مذهب اهل البيت ، ومايكون حجة على المنحرفين عنهم ، ويطلع على فوائد تسر اللبيب ، ونكت وغرائب يفطن لها الأريب .

فصل

حكي أن البخاري تجنب مثل جعفر بن محمد عليه السلام ، وروى عن مروان [1] وعمران بن حطان [2] وعمر بن سعد [3] وغيرهم .

وقال في اسناد أويس القرني سيد التابعين : نظر .

وحكي ان ابن تيمية قال: لولا تدارك الحسين صلوات الله عليه

---

١ هو مروان بن الحكم الذي طرده رسول الله ﷺ الى الطائف ولعنه ، وهو من أشد أعداء اهل البيت ، وقد حارب مع عائشة في حرب الجمل ضد أمير المؤمنين علي عليه السلام ، وهو الذي قتل طلحة.

٢ هو الذي رثى قاتل أمير المؤمنين علي عليه السلام حيث قال:

ياضربة من تقي ماأراد بها   إلاليبلغ من ذي العرش رضوانا

الى أن قال:

لله در المرادي الذي سفكت   كفاه مهجة شر الخلق انسانا

٣ عمر بن سد بن ابي وقاص : هو الذي قاد الجيش على الحسين بن علي عليه السلام بكربلاء .

نفسه بطلب الوصول الى يزيد لعنه الله لكان هالكا .

وقال الذهبي في المتوكل العباسي الذي أمر بحرث قبر الحسين السبط : وورد منه في حق علي عليه السلام من النصب مالايخفى .

وماوقع لأهل البيت عليهم السلام من المحن والبلاوي منه قال فيه الذهبي : إن في ايامه حييت السنة ، وبالغ الذهبي في ترجمة احمد بن حنبل بما كأنه نبي أوملك .

وقال: إن احاديث الرؤية ، وحياة السنة إنما وقعت وانتشرت ، وحييت في أيام المتوكل جعفر العباسي ـ لارحمه الله ـ .

وقال الذهبي أيضا عند حديث لعن رسول الله ﷺ لمروان قال: هذه منقبة لمروان .

وقال ابن العربي : ويقرب منها مقالة ابن تيمية : إن الحسين ـ صلوات الله عليه ـ قتل بسيف جده .

وروى مينا بن مينا عن ابن مسعود قوله ﷺ في خبر :(لئن اتبعتم عليا لتدخلن الجنة اجمعين اكتعين) فقال يحي بن معين في مينا : الماض بضر امه يروي مافيه تكفير الصحابة .

وقال ابن حجر في ترجمة مروان : وإذا ثبتت صحبته فلا يوئثر الطعن فيه .اهـ

وقال أيضا في مقدمة الفتح مالفظه : والتشيع محبة علي ، وتقديمه على الصحابة ، فمن قدمه على ابي بكر وعمر فهو غال في تشيه ، ويطلق عليه رافضي ، وإلا فشيعي ، فإن انضاف الى ذلك السب ، أوالتصريح بالبغض فغال في الرفض . انتهى . وللذهبي مايوافق كلام ابن حجر في المعنى .

وقال ابن العربي المالكي : إن ابن ملجم قتل عليا عليه السلام بالإجتهاد ، قال بعض السادات [1] مامعناه : إني لأعجب من رجل علم بمصادر الأمور ومواردها ، وكيفية الإستدلال ومقاصدها ، ودلالات الألفاظ على معانيها ، وهم كثير ، يروون ويؤدون عن الله عز وجل ، وعن رسول الله ﷺ الأدلة والنصوص القاطعة في اهل البيت عليهم السلام على الخصوص بما لايمكن دفعه لفظا ولامعنى ، ولاسندا ولامتنا ، حتى إذا استنتجت منهم فائدتها ، وطلبت منهم عائدتها بوجوب اتباعهم الذي هو مقتضاه في علم اوعمل أنكر وتبرطم ، ولوى عنقه وتجهم ، وإن ذكرت عنده خلافتهم رآها نكرا ، أورأى من يتابعهم في مقالة ، أومذهب عده مبتدعا ، أوسمع بقراءة في كتبهم ومؤلفاتهم اتخذها هزؤا ولعبا ، ماأدري ماأبقي لهم من معاني تلك الأدلة والنصوص ، وأي فضل ترك لهم على الناس ، يعني لأهل البيت عليهم السلام ، وخذ النظر فيما تجده في كتب كثير محدثي العامة وفقهائها ، فلا تلقاها إلا على هذا النهج ، ماذاك إلا لإرادة الله سبحانه اظهار الحق على السنتهم وأيديهم حجة عليهم .

قال يحي بن معين : الشافعي ليس بثقة ، لماكان يتشيع ، ورووا عن عبدالله بن دؤاد بأنه يكذب ، وبأنه رمى أنس بن مالك بالزور في حديث الطير ، وقال : إن صح حديث الطير فنبوة محمد باطلة ، فعدلوه .

وقال الذهبي : إنما هو كذوب في لهجته ، لافي الحديث . انتهى

---

١ هو السيد العلامة اسماعيل بن عز الدين النعمي رحمه الله في جوابه على رسالة للشوكاني تمت .

صرح الذهبي وشيخه ابن تيمية أن من يتولى عليا عليه السلام ، ويحبه هو وأهل البيت فهو شيعي ، فجعلوا مجرد توليهم ومحبتهم بدعة ، مع اتفاق الأمة على موالاة كل مؤمن .

فعندهم أن الشعبي وأبا عبدالله الحاكم ، والنسائي شيعة ، مع أنهم يفضلوا الثلاثة على علي عليه السلام .

فكل مايرويه ابن تيمية ، وينسبه الى الشيعة ، استظهارا لما يوافق مذهبهم ، فالمراد به نحو هؤلاء .

وأما من فضل عليا عليه السلام على الثلاثة فهو عندهم ضال مضل .

وإذا روى حديثا في اهل البيت قالوا فيه : كذاب يضع أودجال يتشيع ، أوزائغ عن طريق الحق ، أومائل مفتر جاهل ، وقد أطال السبكي الرد على من رمى الحاكم بالتشيع الى أن قال : ومقام الحاكم عندنا أجل من ذلك . انتهى

فهؤلاء القوم قد جعلوا مجرد التشيع وصمة في إصطلاحهم ، ينزهون كبارهم عنها ، لكن يرد عليهم سؤال : مايقول اهل السنة : هل كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحب عليا ، وأهل بيته أولا ؟ إن قلتم بالثاني خالفتم ماورد في كتبكم ، وكتب اهل الإسلام الناصة على أنه كان يحبهم ، بل خالفتم الضرورة .

وإن قلتم بالأول فلا يخلو إما ان يحبهم ، ولايقدم عليا على المشائخ ، أويقدمه عليهم إن كان الأول لزمكم على اصطلاحكم انه شيعي ، والشيعي عندكم فيه وصمة .

وإن كان الثاني لزمكم على اصطلاحكم انه صلى الله عليه وآله وسلم شيعي غال رافضي الخ . لاتقبل روايته في اهل البيت ، مع أنه قد روي بالتواتر عنه

ﷺ أنه قدمه ، لأنه في آية المباهلة جعله نفسه ، ونفس النبيء أقدم ، وكذا في خبر المنزلة ، لأن هارون أقدم من سائر بني اسرائيل ، وفي خبر الغدير لأنه قال: (من كنت مولاه فعلي مولاه) والمعلوم أن النبي ﷺ مولى الصحابة .

وخبر براءة فإنه قدمه على أبي بكر .

وخبر جمع بني هاشم بعد نزول آية انذار الأقربين ، فإنه قدمه على الكل ، هذا لايمكنهم دفعه إلا بالبهت .

وكذا خبر الثقلين ، فإنه مقدم لأهل البيت على كافة الإمة ، وخبر السفينة فإنه حكم فيهما بوجوب اتباعهم ، والمتبوع أقدم ، وافضل من التابع .

والخبران هذان لايمكن دفعهما إلا بالمكابرة .

هذا من غير ماروّوه من الأخبار القاضية بتقديمه .

فعلى هذا أن النبي وأهل بيته على مصطلح أهل السنة روافض غلاة مبتدعون ، صانهم الله عن ذلك ، وأعلى درجتهم في الدارين .

ثم إنهم رووا مع الشيعة ـ اي الزيدية ـ أن السبب في إسم الرفض إنما ذلك هو من سماهم به الإمام زيد بن علي لما رفضوا امامته ، فنقلوا هذا الإسم ، وجعلوه في من فضل عليا ، أوقدح فيمن حاربه من اعدائه ، فإنه ضال مضل ، مع أنهم قد رووا قوله ﷺ في اهل بيته (انا حرب لمن حاربتم) ونحوه ، مما يؤدي معناه ، فقد قدح النبي ﷺ في من عادى اهل بيته ، أوحاربهم ، فلزمهم أنه رافضي ، وهذابين .

ثم إن المعلوم أن النبي ﷺ وفاطمة والحسنين ، وسائر أولادهم

الأكرمين الطيبين يحبون عليا سواء قلنا مع تقديمه أولا فهم حينئذ شيعة .

ولايخلو اهل السنة من أحد أمرين :

إما أن يقتدوا بالنبي واهل بيته ، ولزمهم التشيع ، ولزمهم من الوصمة مالزم الشيعة .

أولايقولوا بالمحبة لهم ، لزمهم العداوة للنبي واهل بيته .

لأن القرآن قابل التشيع بالعداوة في قصة موسى (هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه) فليتبوءوا أي الأمرين ، ولله من قال:

وأقسم ماجازوه في اهل بيته وفي نفسه الا جزاء أم عامر

ثم قد اشتهر عن امير المؤمنين أنه نال من معاوية واضرابه ، وتجرم من اهل السقيفة ، ومن فعل هذا فهو عندهم ضال مضل رافضي غال الى آخر عباراتهم الشنيعة ، فيلزمهم أن عليا كرم الله وجهه كذلك ، وكذلك النبي قد سمى أعداء أمير المؤمنين بالناكثين والقاسطين ، والمارقين الباغين ، فيلزمهم في النبي ﷺ لأن هذه السمات من ابلغ السب .

ولذا قال بعضهم : إنه لايقبل الحاكم إن كان ينال من معاوية ، حتى قال السبكي : لايليق بالحاكم ذلك .

ورموا النسائي بالتشيع لامتناعه من التأليف في فضل معاوية ، مع أن النسائي يقدم المشائخ .

ولقائل أن يتأول لهم : انهم يطلقون هذه الإصطلاحات والألفاظ لأمور ، ولاينتبهون لما يلزم من ذلك ، من الأمور الشنيعة المؤدية

الى الكفر ، ولم يقصدوها ، ولم يخطر ببالهم ذلك ، والله أعلم بالحال ، واليه المرجع والمآل ، إلا ابن تيمية فقد تجارى في كتابه منهاج السنة على أمير المؤمنين ، وعلى اهل بيته وشيعتهم ، فإن كان معتقدهم معتقده ، فالله اعلم بصحة التأويل ، إلا أن هذا الذي ذكرنا إنما هو الزام ، ولعلهم لايلتزمونه .

ثم إن حديث (علي خير البشر فمن ابى فقد كفر) أورده الذهبي في الميزان عن شريك ، قال: بإسناد كالشمس .

وروى معناه السيوطي في الدر المنثور .

قال مالفظه : وأخرج ابن عساكر عن جابر بن عبدالله قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأقبل علي عليه السلام فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم :(والذي نفسي بيده إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة) ونزلت (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية) [١] فكان أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا أقبل قالوا: جاء خير البرية .

وأخرج ابن عدي وابن عساكر عن ابي سعيد مرفوعا :(علي خير البرية) .

وأخرج ابن عدي عن ابن عباس قال: لما نزلت (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية) قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي :(هو أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين) .

وأخرج ابن مردويه عن علي عليه السلام قال:(قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ألم تسمع قول الله : إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك

---

١ البينة (٧) .

هم خير البرية) أنت وشيعتك ، وموعدي وموعدكم الحوض إذا جيئت الأمم للحساب تدعون غرا محجلين) . انتهى

وأخرج خبر (علي خير البشر من شك فيه كفر) في كتاب كنوز الحقائق عن ابي يعلى .

وأخرج ايضا خبر (علي وشيعته هم الفائزن يوم القيامة) عن الديلمي :

وأخرج أيضا خبر (علي خير البشر فمن أبى فقد كفر) عن الخطيب البغدادي ، وهذا الخبر أعني (علي خير البشر) الخ قال شارح كتاب الدعامة : إن شيخه يرويه بإحدى وسبعين طريقا ، وأورده محمد بن سليمان الكوفي مسندا في مناقبه بطرق ذكرها ، ورواها الكنجي .

وفي شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني أحاديث كثيرة في حديث (علي خير البرية) مرفوعة وموقوفة .

نعم : فإذا صح أن عليا خير البشر والبرية بهذه الروايات فمابقي إلا أن النبي ﷺ فضل عليا ، واثنى عليه ، وعلى شيعته ، وأتى بما يخالف اصطلاح اهل السنة ، ولزمهم أن النبي ﷺ رافضي غال الى آخر كلامهم الفضيع .

فالعجب من اهل الفطنة منهم لعدم تيقظهم سيما غير ابن تيمية ، ومن حذا حذوه من اهل السنة ، وكيف صار العمل بالسنة النبوية مضادة لسنتهم .

فان قالوا: إن النبي ﷺ قد خصص هذا العموم بإخراج الشيخين ؟ .

قيل: إن كان من روايتكم فالقاعدة الأصولية : أنه لايقبل رواية الخصم فيما يجر الى بدعته ، وإن كان من رواية من يقدم عليا ، فلن تجدوا الى ذلك سبيلا ، ونحن لم نلزكم إلا بما أخرجه الفريقان منا ومنكم .

مسألة

قال ابن حجر في المنح المكية : إن عليا عليه السلام أول من أسلم .

قال بعض الحفاظ : اجماعا ، ثم قال: أي من الصبيان ، واعتد بإسلامه لأن الأحكام إذ ذاك كانت منوطة بالتمييز ، ولم يعبد وثنا قط ، ومن ثم اختص بكرم الله وجهه ، ثم قال: والحق به الصديق .اهـ

فقد خرجت منه الحكمة ، وأن كان فيها دغل ، كراهة أن تخلص لعلي فضيلة ، حيث قال: اي من الصبيان ، والحق به الصديق .

قال النووي : إن الإمامة تصح في من هو فاسق ، مصرح بالفسق والظلم ، واحتج لهذا . اهـ وهو كمقالة الحشوية .

وقال يحي بن معين في عتبة بن سعيد بن العاص بن امية : ثقة ، وهو جليس الحجاج ، وروى له البخاري ومسلم .

وقال الذهبي : البدعة على ضربين : فبدعة صغرى ، كغلوا التشيع ، أوكالتشيع بلى غلو ، وهذا كثير في التابعين . انتهى

قال بعض العلماء: والعجب من المحدثين تراهم يجرحون بنحو قول شريك القاضي ، وقد قيل عنده : معاوية حليم . فقال : ليس بحليم من سفه الحق ، وحارب عليا . انتهى

قال السيد العلامة الحسن بن اسحاق ، وقد ذكر اهل الحديث قال: فمن وافقهم في جميع عقائدهم فهو العدل الصدوق ، الذي لايسأل عنه ، ومن خالفهم في جميعها فهو كذاب ، وضاع لايرتاب في غيه ، وجهله ، ومن كان بين الطرفين كان بينهم الخلاف ، وتعددت فيه النعوت والأوصاف ، مثل: زائغ عن الحق ، مائل مبتدع، ضعيف

ليس بثقة ، غير مأمون ، جاهل .

ثم قرروا فيما اصلوه أن المخالف لهم في شيء من العقائد صاحب بدعة ، لايقبل فيما رواه ، وهذا حق لأن ذلك تهمة ، لكنهم لم يطردوا ذلك في جميع تصرفاتهم ، بل يناقضونه على مقتضى شهواتهم . انتهى

وأحمد بن حنبل نقل عنه أنه تعصب تعصبا عظيما على من قال بخلق القرآن .

وقال الذهبي في ترجمة حفص بن نفيل ، قال ابن القطان : لايعرف له حال ، ولايعرف يعني فهو مجهول العدالة والعين ، وهذا شيء كثير في الصحيحين . الخ

قال بعض العلماء: وتراهم يتكلمون في وكيع وأضرابه من تلك الدرجة الرفيعة علما وفضلا لتشيعه .

وإذا رأوا بن ابي دؤاد وجماعة يزرون على علي عليه السلام رأيت ذلك عندهم هينا .

قال المقبلي : وتعجب من مجاملة الذهبي في شأن المجاهيل في الصحيحين ، الى أن قال: فعلمت أن مداهنة الذهبي هيبة لخرق عادة الأصحاب ، في احترام الصحيحين ، فما بقي إلا أن يجعل سيئاتهم حسنات ، ثم ساق حتى وصف قارئا قرأ عليه ، وأنه جرى شيء من هذا فقال التلميذ : ليت شعري ، كيف حقيقة الأمر مع هذا التطبيق ؟ فقلت : بحثنا في التكليف ، لافي حقيقة الأمر ، ثم أن التلميذ رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسأله كيف حقيقة الأمر في هذا الكتاب ، يعني البخاري بالخصوص ، لأنه الذي وقع فيه البحث ،فقال له النبي

ﷺ :(الثلثان غير حق) قال: والتبس عليه هل ثلثا الأحاديث أم ثلثا الرواة ، وأكثر ظنه أنه ثلثا الرواة ، يعني أنهم غير عدول ، لأنه الذي وقع فيهم البحث . انتهى

وقعت مذاكرة بين الإمام صلاح الدين المهدي بن أحمد بن أمير المؤمنين بن تاج الدين وشيخه مَن اهل الحديث ، وكذلك بين الإمام عزالدين وشيخه العامري ، وكذلك المتوكل على الله اسماعيل وشيخه من اهل الحديث ، وذلك في حديث (إن الله يغضب لغضب فاطمة) فاستفهم الإمام صلاح الدين شيخه أهذا صحيح ؟ قال: نعم ، ثم استمر في القراءة الى موت فاطمة ، وأنهاماتت غضبا على ابي بكر وعمر ، قال السيد لشيخه : أهذا صحيح ؟ قال: نعم ، قال السيد : كيف يمكن الجمع بين الحديثين ؟ فاشتجر الجدال بينهما ، حتى أدى الى ترك القراءة ، وقام السيد غاضبا ، حتى أرضاه شيخه ، وأزال مافي نفسه ، ومثلها سواء بسواء مذاكرة الإمام عزالدين .

وأما شيخ المتوكل ، فإنه نازع أولا ثم سلم ، وقال: الأمر مشكل .اهـ

قال يحي بن معين : طالعت كتاب الشافعي في السير فوجدته لم يذكر إلا علي بن ابي طالب عليه السلام فاستشهد بهذا أن الشافعي رافضي ، وفي شرح مسلم للنووي أن الرافضي من رفض امامة زيد بن علي عليه السلام انتهى .

ويمكن أنه أخرج الحكمة لأجل خصوم الشافعي من الحشوية .

قال المقبلي في اهل البيت : إنهم في الحديث لاشيء.

وقال ايضا : أن ائمتهم صلحاء في الدرجة القصوى ، يعلم صلاحهم وعدلهم كمايعلم صلاح عمر بن الخطاب . انتهى

قال ابن حجر في حديث الصلوات الخمس على النبي وآله قال:اعتقادي أن هذا الحديث موضوع ، وفي سنده ثلاثة من الضعفاء على الولاء أحدهم نسب الى وضع الحديث ، والآخر اتهم بإلكذب ، والثالث : متروك .

وقال ابن الجوزي في حديث سد الأبواب إلا باب علي : إنه موضوع .

روي أن أخوين [1] كان احدهما يرى ثبوت نهج البلاغة ، والآخر لايرى ذلك ، ولايزالان يتنازعان ، فرأى المثبت أمير المؤمنين ينشده بيتين :

قد صح عنا فتمسك به ليس الذي يرويه بالكاذب
اخوك عبدالله احذره لا تماشه ولتمش في جانب

روي أنه لم يرو البخاري عن مؤلفه إلا الفربري فقط .

وقالت الحشوية : إنه سمعه معه عن البخاري سبعون الفا هذا هو المشهور عند المحدثين ، واعتذر الفربري بأنهم ماتوا، فأهل الحديث قبلوا كلام الفربري ، هذا على مافيه من البعد ، ولم يقبلوا من ابي خالد الواسطي أنه قال: سمع مجموع الإمام زيد بن علي

---

[1] قال الإمام محمد بن عبدالله عليه السلام : وأظنهما من السادة بني الشامي تمت .

معه جماعة لكنهم قتلوا مع زيد بن علي عليه السلام ، وعذر ابي خالد ظاهر ، وهذا لأجل قاعدتهم في شيعة آل محمد .

وصنف العلامة محمد بن جرير الطبري كتابا في طرق حديث الطير لما سمع رجلا يقول: إنه ضعيف .

قال الذهبي : وقفت على هذا الكتاب فاندهشت لكثرة مافيه من الطرق . انتهى

وللذهبي فيه مقال مع قوله هذا : انظر ماروي عن اهل الحديث أن من قدم عليا فهو رافضي زائع دجال وضاع الى غير ذلك . ومن أحبه وأهل بيته فشيعي ، وقد عرفت الشيعي عندهم ، ومن ذكر بغاة الصحابة مثل معاوية وعمرو بن العاص وأمثالهما بأي شيء يشينهم فهو كذلك رافضي .

نعم وذكر الذهبي في طبقات القراء عليا عليه السلام ، وذكر انه لم يسبقه الى الإسلام إلا خديجة ، وان المكان يضيق عن مناقبه ، وأنه جمع القرآن العظيم ، وصحح ذلك ورد على من خالف فيه .

نعم ، وقد ذكر اهل الحديث مساويء معاوية ، والأحاديث الواردة بذمه ، وذم صبية بني امية ، في كتبهم وتواريخهم ، وبيان المكذوب من فضائله [1] ، وأنه لم يصح منها شيء ، رواه الذهبي عن اسحاق بن راهويه .

ثم قال الذهبي : البخاري يتجنب الرافضة كثيرا ، ولايتجنب القدرية ، يعني العدلية والجبرية والخوارج ، ثم إن المحدثين

---

[1] يعني معاوية .

يبالغون في تنزيه كبارهم من مجرد التشيع كالنسائي والحاكم والشافعي وغيرهم ، ثم إنهم يروون مناقب علي واهل البيت ، وبعضهم يتظلم لهم ، إلا أنهم أغلقوا الباب لئلا ينال بالسب الأعلى فالأعلى بزعمهم .

وقد روى الذهبي حديث (إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه) رواه من طرق وقواه .

وقال السعد التفتازاني : وماوقع من الصحابة من المشاجرات على الوجه المسطور في كتب التواريخ ، والمذكور على السنة الثقات يدل بظاهره على أن بعضهم قد حاد عن طريق الحق ، وبلغ حد الظلم والفسق ، وكان الباعث له الحقد والفساد ، والحسد واللدد والعناد ، وطلب الملك والرياسة ، والميل الى اللذات والشهوات ، إذ ليس كل صحابي معصوما ، ولاكل من لقي النبي ﷺ بالخير موسوما ، إلا أن العلماء لحسن ظنهم بأصحاب رسول الله ﷺ ذكروا لها محامل وتأويلات بمايليق ، وذهبوا الى أنهم محفوظون عما يوجب التضليل ، أوالتفسيق صونا لعقائد المسلمين عن الزيغ والضلال في كبار الصحابة ، سيما المهاجرين والأنصار ، ومنهم المبشرون بالثواب في دار القرار ، وأما ماجرى بعدهم من الظلم على اهل البيت عليهم السلام فمن الظهور بحيث لامجال للإخفاء ، ومن الشناعة بحيث لااشتباه على الآراء ، يكاد يشهد به الجماد والعجماء ، وتبكي له الأرض والسماء ، وتنهد منه الجبال ، وتنشق منه الصخور ، ويبقى سوء عمله على كر الشهور ومر الدهور ، فلعنة الله على من باشر أورضي أوسعى (ولعذاب الآخرة أشد وأبقى)

فإن قلت : فمن علماء المذهب من لايجوز اللعن على يزيد مع علمهم بأنه يستحق على مايربو على ذلك ويزيد ؟

قلت : تحاميا على أن يرتقى الى الأعلى فالأعلى ، كماهو شعار الروافض ، على مايرى في أدعيتهم ، ويجري في انديتهم .

فرأى المعتنيون بالدين الجام العوام بالكلية ، طريقا الى الإقتصاد في الإعتقاد ، وبحيث لاتزل الأقدام عن اعتقاد السوء ،ولاتضل الأفهام بالأهواء ، وإلا فمن الذي يخفى عليه الجواز والإستحقاق ! وكيف لايقع عليه الإتفاق !.انتهى

روي عن ابن تيمية أنه بالـغ في تنقيص امير المؤمنين ، وأخرجه عن الإيمان ، وكذا الزيدية شبههم باليهود .

قال السيدالعلامة محمد بن اسماعيل الأمير على قول ابن حجر في تحديد الشيعي في كلامه السابق .

قال السيد : فعلى هذا كل زيدي رافضي ، وكل مؤمن شيعي ، فإنه يحبه ـ يعني عليا ـ كل مؤمن وإن لم يقدمه على الشيخين .

وصح أنه لايخرج من اسم الشيعي إلا من تجرد عن محبته ، فحينئذ يخرج عندهم من هذه الوصمة ، وهذا عجيب .انتهى

ذكر المقبلي في كتبه اضطراب اهل الحديث فيما بينهم .

فترى من يقول متهم في رجل منهم : إنه امير المؤمنين في الحديث ، وهو بعينه عند آخرين أكذب الكاذبين ، وتنوع لهم فيه النعوت والأوصاف بالمدح والذم ، وعدم الإئتلاف .

قال: وهذا صنيعهم ، وأنه لاينبغي تقليدهم ، ولاالإعتماد على اقاويلهم ، وإنما يكون ذلك كالأمارة فخذ ودع .

وقال: وأكثر الجرح والتعديل مترتب على العقائد التي تعمقوا فيها حتى ضلوا وضلل بعضهم بعضا ، فترى بعضهم يجعل الجبر الذي هو شر جهالة ، واخبث مقالة ، وهو انكار الضرورة العقلية والشرعية ، فيجعله هؤلاء مدحا يسمونه السنة ، ومن وصف به فهو العدل ، ويقدحون في من قال : إن الله جعل للعبد قدرة واختيارا ، اوقال: إن القرآن مخلوق ، أوقال: إن الله لايرى ، أونحو ذلك .انتهى

فإن قلت: قد اشتمل مذهب هؤلاء السنية على أنهم جبرية قدرية مشبهة ، يقولون : بأن مع الله قديم ، ويكلف مالايطاق ، وينفون التحسين والتقبيح العقليين .

ويقولون : إن الله يأخذ قبضة فيرمي بها في النار ولايبالي ، وإن كان فيها نبي ، وكذا مثلها في الجنة وإن كان فيها كافر ، وأن من صدق بالله وبالنبي وماجاء به ، واستمر عمره نحو ستين سنة لايصلي ولايصوم ، ولايحج ولايزكي مع وجوب ذلك عليه ، ويشرب الخمر ، ويزني ويلاوط ، ويسرق ويظلم ، ويقتل النفس التي حرم الله ويربي ، فإنه يخلد في الجنة [1]

وأنه يفعل أفعاله لغير حكمة .

ثم انحرافهم عن الآل وشيعتهم ، ووصفهم لهم بالرفض وغيره من

---

١ إما بعد العفوعنه ، أوبالشفاعة ، أويدخل النار فيعذب على قدر معصيته ، ثم يخرج منها لامحالة ، ويدخل الجنة .

الألفاظ الشنيعة .

وانه يجب طاعة السلطان الفاسق المجاهر الفاجر ، الظالم الغشوم ، كما يؤخذ الجميع لهم مما سبق ، فكيف مع هذا يؤدون الأخبار المؤدية الى وجوب الإقتداء بعلي عليه السلام ، خاصة ، والإقتداء بأهل البيت عامة ، ويؤدون كثيرا مما يرجح مذهب الآل ، وأنهم وشيعتهم حقا اهل الحق ، مع انحرافهم عن الآل ، وماذكرت من أقوالهم الشنيعة في التوحيد والعدل .

قلت : اعلم أن الأمة قد اختلفت ، وكل طائفة منهم قد ادعت أن المسألة الفلانية التي تقول بها هي الحق ، وخلافها بدعة ، وربما كفرت من خالفها ، واستظهرت على حقية قولها برواية من يوافقها ، وربما تدعي التواتر ، أونحو ذلك ، والقاعدة أنه لايقبل رواية من يقوي بها بدعته .

نعم فإن قلنا: الجميع حق ، فذلك متناقض ، وذلك محال .

وإن قلنا: الحق مع البعض فأين لنا معرفته بمجرد قول ذلك البعض وروايته .

والله سبحانه وتعالى حكيم لايلبس علينا ، وحكمته قاضية بنصب علامة على الحق من العقل والشرع ، ابلاغا للحجة ، واكمالا للمعذرة ، فمن ترك الأهواء وتقليد الأسلاف لغير دليل ، وترك العصبية عرف الحق بشهادة العقل فيما يرجع اليه ، وبشهادة الخصم لخصمه بما يرويه مما يقوي مامعه من الأدلة ، والحق ماشهدت به الأعداء .

ومن الألطاف للعترة ، وصفوة الشيعة ماروته العامة مما يشهد

بحقية قولهم ، ولايلزم العترة وشيعتهم تأويل العامة لتلك الأخبار ، واخراجها عن ظاهرها ، إذ العبرة بوضوح الدلالة العقلية ، واللغوية والشرعية ، فجرت الحكمة على السنتهم ، والحكمة ضالة المؤمن فاعرف ذلك كله .

وإنما أعني بما ذكرت مسائل الأصول كالعدل والتوحيد ، ومايتصل بهما ، والإمامة لامسائل الفروع ، فليس الكلام في الخلافيات فيها .

فصل

قد ذكرنا ماسنح مما جرى بين العدلية والجبرية .

واعلم أن الشيعة قاطبة يذهبون الى أن عليا كرم الله وجهه أفضل الأمة ، وانه الإمام بعده ﷺ بلا فصل لخبر الغدير ، وقد أنهى بعضهم طرقه الى مائة وخمسين طريقا .

وخبر المنزلة وهو معلوم حتى قيل: إن بعض الحفاظ أخرجه من خمسة آلاف طريق .

وخبر (وأنذر عشيرتك الأقربين) [١] وقوله تعالى :(إنما وليكم الله ورسوله) [٢] الآية ، وغير ذلك مما روته الأمة كثيرا .

وقالت المعتزلة : إن الإمام بعده ﷺ ابوبكر ، ثم عمر ، ثم عثمان كمقالة الجبرية .

وأما التفضيل : فقال ابن ابي الحديد في محاورة جرت : هل

---

١ الشعراء (٢١٤) .

٢ المائدة (٥٥) .

شرف عليا بفاطمة ، أم هي شرفت به ؟

قال: فالذي استقر عليه رأي المتأخرين من اصحابنا أن عليا أرفع المسلمين كافة عند الله ، بعد رسوله ﷺ من الذكور والأناث .

وفاطمة رضي الله عنها امراة من المسلمين وإن كانت سيدة نساء العالمين ، ويدل على ذلك أنه قد ثبت أنه احب الخلق الى الله بحديث الطائر ، وفاطمة من الخلق .

وقال ايضا : قال شيخنا ابو الهذيل ، وقد سأله سائل : أيما أعظم منزلة عند الله علي أم ابوبكر؟ فقال: ياابن اخي والله لمبارزة علي عمرا يوم الخندق ، تعدل اعمال المهاجرين والأنصار وطاعاتهم كلها تربي عليها فضلا عن ابي بكر وحده ، وقد روي عن حذيفة بن اليمان مايناسب هذا ، بل ماهو ابلغ منه .

قال: والذي نفس حذيفة بيده لووضع جميع اعمال أمة محمد ﷺ في كفة الميزان منذ بعث الله محمدا الى يوم الناس هذا ، ووضع عمل واحد من أعمال علي عليه السلام في الكفة الأخرى لرجح على اعمالهم كلها .انتهى

قال ابن ابي الحديد أيضا : قد اتفقت الأخبار الصحيحة التي لاريب فيها عند المحدثين ، على أن النبي ﷺ قال له - يعني لعلي - :(لايبغضك إلا منافق ولايحبك إلا مؤمن) إذا عرفت هذا فنذكر ماسنح مما ذكره ابن ابي الحديد هذا المعتزلي مما جرى بين امير المؤمنين وبعض الصحابة ، وماروى فيه بعض المتهمين بانحرافه عنه .

قال ابن ابي الحديد في شرحه على النهج : وروى ابن ديزيل بسنده عن زيد بن ارقم قال: قال رسول الله ﷺ :(ألا أدلكم على

ماإن تسالمتم عليه لم تهلكوا، إنما وليكم الله ورسوله ، وإن امامكم علي بن ابي طالب فناصحوه وصدقوه ، فإن جبريل اخبرني بذلك) .

قال: وفي مسند أحمد قالت عائشة : سمعت رسول الله ﷺ يقول :(إنهم - يعني الخوارج - شر الخلق والخليقة ، يقتلهم خير الخلق والخليقة ، وأقربهم عندالله وسيلة) .

قال في شرح النهج : وأخرج المدايني عن مسروق عن عائشة لما عرفت أن عليا قتل ذا الثدية : ليس يمنعني مافي نفسي أن أقول ماسمعته من رسول الله ﷺ يقول: (يقتله خير امتي من بعدي) .

وقال رحمه الله: وقد روى كثير من المحدثين أن النبي ﷺ قال لأصحابه يوما:(إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله) فقال ابوبكر أنا يارسول الله ؟ قال: لا ، فقال عمر [1]: أنا يارسول الله ؟ فقال: لا بل خاصف النعل ، واشار الى علي عليه السلام) .انتهى

قال رحمه الله : ونحن نذكر ماإستفاض في الروايات من مناشدته اصحاب الشورى ، الى أن قال: قد روى الناس ذلك ، فأكثروا ، والذي صح عندنا أنه لم يكن الأمر كما روى ، ولكنه قال لهم بعد أن بايع عبدالرحمن والحاضرون عثمان ، وتلكأ هو عليه السلام عن البيعة :(إن لنا حقا إن نعطه نأخذه ، وإن نمنعه نركب اعجاز الإبل وإن طال السرى) ثم قال لهم : (أنشدكم الله أفيكم أحد آخى رسول الله ﷺ بينه وبين نفسه غيري ؟ فقالوا: لا ، فقال: أفيكم أحد قال له

---

[1] يؤخذ من هذا أن الأمارة في نفوسهما.

رسول الله ﷺ (من كنت مولاه فهذا مولاه) غيري ؟ فقالوا: لا ، فقال: أفيكم أحد قال له رسول الله ﷺ : أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا انه لانبي بعدي) غيري ؟ قالوا: لا فقال: أفيكم من أؤتمن على سورة براءة وقال له رسول الله ﷺ :(إنه لايؤدي عني إلا أنا أورجل مني) غيري ؟ قالوا: لا .

قال: (ألا تعلمون أن أصحاب رسول الله ﷺ فروا عنه في مآقط الحرب في غير موطن ؟ ومافررت قط) قالوا: بلى .

قال: (أتعلمون أني اول الناس اسلاما)؟ قالوا: بلى .

قال:(فأينا اقرب الى رسول الله نسبا) ؟ قالوا: أنت .

فقطع عليه عبدالرحمن كلامه ، وقال: ياعلي : قد أبى الناس الا على عثمان ، فلا تجعلن على نفسك سبيلا ، ثم قال: ياأبا طلحة ماالذي أمرك به عمر ؟ قال: أن أقتل من شق عصا الجماعة ، فقال عبدالرحمن لعلي عليه السلام : بائع اذن ، وإلا كنت متبعا غير سبيل المؤمنين ، وأنفذنا فيك ماأمرنا به ، فقال (عليه السلام) : لقد علمتم أني أحق بها من غيري .

وقال فيها: قالت عائشة : قال لها رسول الله ﷺ :(لايبغضه ـ يعني عليا عليه السلام ـ أحد من اهل بيتي ، ولامن غيرهم من الناس إلا وهو خارج من الإيمان) .

وروى أن أم سلمة ذكرت عائشة ، قالت ام سلمة : وجاء ابوك ومعه عمر ، ونحن في سفر فاستأذنا عليه ، فقمنا الى الحجاب ، ودخلا يحدثانه فيما أرادا ، ثم قالا : يارسول الله إنا لاندري قدر ماتصحبنا فلو أعلمتنا من يستخلف علينا ليكون لنا بعدك مفزعا ،

فقال لهما: (أماني قد أرى مكانه ، ولو فعلت لتفرقتم عنه كما تفرقت بنو اسرائيل عن هارون بن عمران) فسكتا ثم خرجا .

فلما خرجنا الى رسول الله ﷺ قلت له : من كنت مستخلفا عليهم ؟ فقال : (خاصف النعل) فنزلنا فلم نرى أحدا إلا عليا ، فقلت : يارسول الله ماأرى إلا عليا ؟ فقال: (هو ذاك) فقالت عائشة : نعم أذكر ذلك . انتهى

وقال في شرح النهج أيضا : قد جاء في الأخبار الصحيحة أنه ﷺ قال:(ياجبريل إنه مني وأنا منه) فقال جبريل :(وأنا منكما) .

وروى ابوأيوب الأنصاري مرفوعا :(لقد صلت الملائكة علي ، وعلى علي سبع سنين لم تصل على ثالث لنا ، وذلك قبل أن يظهر امر الإسلام ، ويتسامع الناس به) .

وفي خطبة الحسن بن علي عليه السلام لماقبض ابوه :(لقد فارقكم في هذه الليلة رجل لم يسبقه الأولون ، ولايدركه الآخرون كان يبعثه رسول الله ﷺ للحرب وجبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره) .

وجاء في الحديث : انه سمع يوم احد صوت من الهوى من جهة السماء يقول: لاسيف إلا ذو الفقار ولافتى إلا علي) وأن رسول الله ﷺ قال: (هذا صوت جبريل) .

وقال رسول الله ﷺ :(أنامدينة العلم وعلي بابها فمن أراد المدينة فليأت الباب) وقال: (أقضاكم علي) .

وجاء في تفسير قوله تعالى :(وتعيها اذن واعية) [١] سألت الله أن يجعلها اذنك ياعلي ففعل) .

وجاء في تفسير قوله تعالى :(أم يحسدون الناس على ماأتاهم الله من فضله) [٢] أنها نزلت في علي .

وجاء في تفسير قوله تعالى :(أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه) [٣] أن الشاهد علي عليه السلام .

وروى المحدثون أنه قال لفاطمة :(زوجتك أقدمهم سلما ، وأعظمهم حلما ، وأعلمهم علما) .

وروى المحدثون أيضا عنه عليه السلام أنه قال: (من أراد أن ينظر الى نوح في عزمه ، وموسى في علمه ، وعيسى في ورعه فلينظر الى علي بن ابي طالب) .

وقال فيه : إن عثمان قال لابن عباس : ولقد علمت أن الأمر لكم ، ولكن قومكم دفعوكم عنه ، واختزلوه دونكم .

وفيه قال عثمان لعلي عليه السلام : ماأصنع إن كانت قريش لاتحبكم ، وقد قتلتم منهم يوم بدر سبعين ، كأن وجوههم شنوف الذهب تصرع آنافهم قبل شفاهم .

وروى فيه قول علي عليه السلام للعباس رضي الله عنه لماجعلها عمر شورى ، وفضل عبدالرحمن مالفظه :(والله ماجعل الله ذلك لهم علينا ، كما لم يجعله لأولاهم على اولانا ، أما والله لئن ـ كان ـ عمر

---

١ الحاقة (١٢) .

٢ النساء (٥٤) .

٣ هود (١٧) .

لم يمت لأذكرنه ماأتى الينا قديما ، ولأعلمنه سوء رأيه فينا حديثا ، ولئن مات ، وليموتن ليجتمعن هؤلاء القوم على أن يصرفوا هذا الأمر عنا ، ولئن فعلوها ، وليفعلن ليروني حيث يكرهون) .

وقال فيه أيضا: قد جاء في حقه الخبر الشائع المستفيض أنه قسيم النار والجنة) .

واعلم أن أمير المؤمنين لو فخر بنفسه وبالغ في تعديد مناقبه وفضائله بفصاحته التي آتاه الله تعالى اياها ، واختصه بها ، وساعده على ذلك فصحاء العرب كافة ، لم يبلغوا الى معشار مانطق به الرسول الصاق صلوات الله عليه وآله في أمره .

ولست أعني بذلك الأخبار العامة الشائعة التي تحتج بها الإمامية على امامته كخبر الغدير ، والمنزلة ، وقصة براءة ، وخبر المناجاة ، وقصة خيبر ، وخبر الدار بمكة في ابتداء الدعوة ، ونحو ذلك ، بل الأخبار الخاصة التي رواها فيه ائمة الحديث التي لم يحصل أقل القليل منها لغيره .

وأنا أذكر من ذلك شيئا يسيرا مما رواه علماء الحديث ، الذين لايتهمون فيه ، وجلهم قائلون بتفضيل غيره عليه ، فروايتهم فضائله توجب سكون النفس مالايوجبه رواية غيرهم .

الخبر الأول

(ياعلي إن الله قد زينك بزينة لم يزين العباد بزينة أحب اليه منها ، هي زينة الأبرار عند الله : الزهد في الدنيا ، جعلك لاترزأ من الدنيا شيئا ، ولاترزأ الدنيا منك شيئا ، ووهب لك حب المساكين ،

فجعلك ترضى بهم أتباعا ، ويرضون بك اماما) .

رواه ابونعيم الحافظ في كتابه المعروف بحلية الأولياء .

وزاد فيه ابوعبدالله احمد بن حنبل في المسند :(فطوبى لمن أحبك ، وصدق فيك ، وويل لمن أبغضك وكذب فيك) .

الخبر الثاني

قال لوفد ثقيق :(لتسلمن أولأبعثن اليكم رجلا مني ، أوقال: عديل نفسي ، فليضربن أعناقكم ، وليسبين ذراريكم ، وليأخذن أموالكم) قال عمر: فما تمنيت الأمارة إلا يومئذ ، وجعلت أنصب له صدري رجاء أن يقول: هو هذا ، فالتفت فأخذ بيد علي وقال: (هو هذا مرتين) .

رواه احمد في المسند ، ورواه في كتاب فضائل علي عليه السلام أنه قال:(لتنتهن يابني وليعة أولأبعثن اليكم رجلا كنفسي يمضي فيكم أمري ، يقتل المقاتلة ، ويسبي الذرية) قال ابوذر: فماراعني إلا برد كف عمر في حجزتي من خلفي يقول: من تراه يعني ؟ فقلت : إنه لايعنيك ، وإنما يعني خاصف النعل بالبيت ، وأنه قال : هو هذا .

الخبر الثالث :

(إن الله عهد الي في علي عهدا ، فقلت : يارب بينه لي ؟ قال: اسمع أن عليا راية الهدى ، وامام اوليائي ، ونور من اطاعني ، وهو الكلمة التي الزمتها المتقين ، من أحبه فقد أحبني ، ومن أطاعه فقد اطاعني ، فبشره بذلك ، فقلت : قد بشرته يارب ، فقال: أنا عبدالله

وفي قبضته ، فإن يعذبني فبذنوبي ، ولم يظلم شيئا ، وإن يتم لي ماوعدني فهو أولى ، وقد دعوت له فقلت: اللهم اجل قلبه ، واجعل ربيعه الإيمان بك ، قال: قد فعلت ذلك غير أني مختصه بشيء من البلاء ، لم أختص به احدا من أوليائي ، فقلت : رب اخي وصاحبي ، قال: إنه قد سبق في علمي أنه لمبتلى ومبتلى) ذكره ابونعيم الحافظ في حلية الأولياء عن ابي برزة الأسلمي ، ثم رواه بإسناد آخر بلفظ آخر عن انس بن مالك :(إن رب العالمين عهد الي في علي عهدا أنه راية الهدى ، ومنار الإيمان وامام اوليائي ، ونور جميع من اطاعني ، إن عليا غدا اميني في القيامة ، وصاحب رايتي بيد علي مفاتيح خزائن رحمة ربي) .

الخبر الرابع

من أراد أن ينظر الى نوح في عزمه والى آدم في علمه ، والى ابراهيم في حلمه ، والى موسى في فطنته ، والى عيسى في زهده ، فلينظر الى علي بن ابي طالب) .

رواه احمد بن حنبل في المسند ، ورواه أحمد والبيهقي في صحيحه .

الخبر الخامس

(من سره أن يحيا حياتي ويموت ميتتي ، ويتمسك بالقضيب من الياقوتة التي خلقها الله تعالى بيده ، ثم قال لها: كوني فكانت ، فليتمسك بولاء علي بن ابي طالب) .

ذكره ابونعيم الحافظ في كتاب حلية الأولياء ، ورواه ابوعبدالله احمد بن حنبل في المسند ، وفي كتاب فضائل علي عليه السلام .

وحكاية لفظ احمد (من أحب أن يتمسك بالقضيب الأحمر الذي غرسه الله في جنة عدن ، فليتمسك بحب علي بن ابي طالب) .

الخبر السادس

(والذي نفسي بيده لولا أن تقول طوائف من امتى فيك ماقالت النصارى في ابن مريم لقلت اليوم فيك مقالا لاتمر بملاء من المسلمين إلا اخذوا التراب من تحت قدميك للبركة .

ذكره ابوعبدالله احمد بن حنبل في المسند .

الخبر السابع

خرج رسول الله ﷺ على الحجيج عشية عرفة فقال لهم: (إن الله قد باهى بكم الملائكة عامة وغفر لكم عامة، وباهى بعلي خاصة ، وغفر له خاصة، إني قائل لكم قولا غير محاب فيه لقرابتي : إن السعيد كل السعيد ، حق السعيد من احب عليا في حياته وبعد موته) رواه ابوعبدالله احمد بن حنبل في كتاب فضائل علي عليه السلام ، وفي المسند ايضا .

الخبر الثامن

رواه ابوعبدالله احمد بن حنبل في الكتابين المذكورين :(أنا أول من يدعى به يوم القيامة فأقوم عن يمين العرش في ظله ، ثم اكسى

حلة ، ثم يدعى بالنبيين بعضهم على اثر بعض ، فيقومون عن يمين العرش ، ويكسون حللا ، ثم يدعى بعلي بن ابي طالب لقرابته مني ، ومنزلته عندي ، ويدفع اليه لوائي لواء الحمد ، آدم ومن دونه تحت ذلك اللواء ، ثم قال لعلي : فتسير به حتى تقف بيني ، وبين ابراهيم الخليل ، ثم تكسى حلة ، وينادي مناد من العرش نعم العبد ابوك ابراهيم ، ونعم الأخ اخوك علي ، ابشر فإنك تدعى إذا دعيت ، وتكسى إذا كسيت ، وتحيا إذا حييت) .

الخبر التاسع

(يا أنس اسكب لي وضوءا ، ثم قام فصلى ركعتين ، ثم قال: أول من يدخل عليك من هذا الباب امام المتقين ، وسيد المسلمين ، ويعسوب الدين ، وخاتم الوصيين ،وقائد الغر المحجلين) قال انس: فقلت : اللهم اجعله رجلا من الأنصار ، وكتمت دعوتي ، فجاء علي عليه السلام ، فقال ﷺ :(من جاء يا أنس) فقلت : علي : فقام اليه مستبشرا فاعتنقه ، ثم جعل يمسح عرق وجهه ، فقال علي: يارسول الله صلى الله عليك وآلك لقد رأيت منك اليوم تصنع بي شيئا ماصنعته بي من قبل ؟ قال: ومايمنعني وانت تؤدي عني ، وتسمعهم صوتي ، وتبين لهم مااختلفوا فيه بعدي) رواه ابونعيم الحافظ في حلية الأولياء .

الخبر العاشر

(ادعوا لي سيد العرب عليا) فقالت عائشة : ألست سيد العرب

؟ فقال: (أنا سيد ولد آدم ، وعلي سيد العرب) فلما جاء أرسل الى الأنصار فأتوه فقال لهم:(يامعشر الأنصار ألا أدلكم على ما إن تمسكتم به لن تضلوا أبدا) قالوا: بلى يارسول الله قال:(هذا علي فأحبوه بحبي ، وأكرموه بكرامتي ، فإن جبريل امرني بالذي قلت لكم عن الله عزوجل) رواه الحافظ ابونعيم في حلية الأولياء .

الخبر الحادي عشر

(مرحبا بسيد المؤمنين وامام المتقين) فقيل لعلي عليه السلام : كيف شكرك ؟ فقال: (احمد الله على ماآتاني ، وأسأله الشكر على ماأولاني ، وأن يزيدني مما اعطاني) ذكره صاحب الحلية ايضا .

الخبر الثاني عشر

(من سره أن يحيا حياتي ،ويموت مماتي ، ويسكن جنة عدن التي غرسها ربي فليوال عليا من بعدي ،وليوال وليه ، وليقتد بالأيمة من بعدي ، فإنهم عترتي خلقوا من طينتي ،ورزقوا فهما وعلما ، فويل للمكذبين من امتي القاطعين فيهم صلتي لاأنالهم الله شفاعتي) ذكره صاحب الحلية ايضا .

الخبر الثالث عشر

(بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خالد بن الوليد في سرية ، وبعث عليا عليه السلام في سرية آخرى ،وكلاهما الى اليمن ، وقال: (إن اجتمعتما فعلي على الناس ، وإن افترقتما فكل واحد منكما على جنده)

فاجتمعا وأغارا ، وسبيانساء ، وأخذا أموالا ، وقتلا ناسا ، وأخذ علي جارية فاختصها لنفسه ، فقال خالد : لأربعة من المسلمين منهم بريدة الأسلمي : اسبقوا الى رسول الله ﷺ فاذكروا له كذا، واذكروا له كذا، لأمور عددها على علي ، فسبقوا اليه ، وجاء وأحد من جانبه فقال: إن عليا فعل كذا ، فأعرض عنه ، فجاء الآخر من الجانب الآخر فقال: إن عليا فعل كذا فأعرض عنه ، فجاء بريدة الأسلمي فقال: يارسول الله : إن عليا فعل ذلك فأخذ جارية لنفسه ، فغضب رسول الله ﷺ حتى احمر وجهه وقال:(دعوا لي عليا يكررها ، إن عليا مني ، وأنا من علي ، وإن حظه في الخمس أكثر مما أخذ ،وهوولي كل مؤمن من بعدي) رواه ابوعبدالله احمد في المسند غير مرة ، ورواه في كتاب فضائل علي ،ورواه اكثر المحدثين .

الخبر الرابع عشر

(كنت أنا وعلي نورا بين يدي الله عزوجل قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر الف عام ، فلما خلق آدم قسم ذلك فيه ، وجعله جزأين ، فجزء أنا ، وجز علي) .

رواه احمد في المسند ، وفي كتاب فضائل علي عليه السلام .

وذكره صاحب كتاب الفردوس ، وزاد فيه :(ثم انتقلنا حتى صرنا في عبدالمطلب فكان لي النبوة ، ولعلي الوصية) .

الخبر الخامس عشر

(النظرالى وجهك ياعلي عبادة ، أنت سيد في الدنيا ، وسيد في الآخرة ، من أحبك احبني ، وحبيبي حبيب الله ، وعدوك عدوي ،

وعدوي عدوالله ، الويل لمن أبغضك) رواه أحمد في المسند قال: وكان ابن عباس يفسره ، ويقول: إن من ينظر اليه يقول: سبحان الله ماأعلم هذا الفتى سبحان الله ماأشجع هذا الفتى ، سبحان الله ماأفصح هذا الفتى.

الحديث السادس عشر

(لما كانت ليلة بدر قال رسول الله ﷺ :(من يستقي لنا ماء؟ فأحجم الناس ، فقام علي فاحتضن قربة ، ثم أتى بئرا بعيدة القعر مظلمة ، فانحدر فيها ، فأوحى الله الى جبريل وميكائيل واسرافيل أن تأهبوا لنصرمحمد وأخيه ، وحزبه فهبطوا من السماء لهم لغط يذعر من يسمعه ، فلما حاذوا البئر سلموا عليه من عند آخرهم اكراما له واجلالا) رواه احمد في كتاب فضائل علي ، وزاد فيه في طريق اخرى عن انس بن مالك (لتؤتين ياعلي يوم القيامة بناقة من نوق الجنة فتركبها ، وركبتك مع ركبتي ، وفخذك مع فخذي حتى ندخل الجنة).

الحديث السابع عشر

خطب ﷺ الناس يوم جمعة فقال:(أيهاالناس قدموا قريشا ولاتقدموها ، وتعلموا منها ، ولاتعلموها ،قوة رجل من قريش ، تعدل قوة رجلين من غيرهم ، وأمانة رجل من قريش تعدل أمانة رجلين من غيرهم ، أيها الناس أوصيكم بحب ذي قرباها أخي وابن عمي ، علي بن ابي طالب ، لايحبه الا مؤمن ، ولايبغضه إلا منافق ، من أحبه فقد أحبني ، ومن أبغضه فقد أبغضني ، ومن أبغضني عذبه الله بالنار) رواه

احمد في كتاب فضائل علي عليه السلام ·

الحديث الثامن عشر

(الصديقون ثلاثة - حبيب النجار الذي جاء من اقصى المدينة يسعى ، ومؤمن آل فرعون الذي كان يكتم ايمانه ، وعلي بن ابي طالب ، وهو افضلهم) رواه احمد في كتاب فضائل علي ·

الحديث التاسع عشر

(أعطيت في علي خمسا ، هن احب الي من الدنيا ومافيها ، أما واحدة - فهو كاب بين يدي الله عزوجل حتى يفرغ من حساب الخلائق · وأما الثانية: فلواء الحمد بيده ، آدم ومن ولد تحته ، وأما الثالثة : فواقف على عقر حوضي يسقي من عرف من أمتي ، وأما الرابعة : فساتر عورتي ، ومسلمي الى ربي ، وأما الخامسة: فإني لست أخشى عليه أن يعود كافرا بعد ايمان ، ولازانيا بعد احصان) رواه احمد في كتاب الفضائل ·

الحديث العشرون

كانت لجماعة من الصحابة ابواب شارعة في مسجد الرسول ﷺ فقال ﷺ يوما:(سدوا كل باب في المسجد إلا باب علي) فسدت ، فقال في ذلك قوم حتى بلغ رسول الله ﷺ فقام فيهم فقال:(إن قوما قالوا في سد الأبواب ، وتركي باب علي إني ماسددت ولافتحت ، ولكني أمرت بأمر فاتبعته) رواه احمد في المسند مرارا ، وفي كتاب الفضائل .

الحديث الحادي والعشرون

دعا ﷺ عليا في غزاة الطائف ، فانتجاه ، وأطال نجواه ، حتى كره قوم من الصحابة ذلك ، فقال قائل منهم: لقد أطال اليوم نجوى ابن عمه ، فبلغه ﷺ ذلك فجمع منهم قوما ثم قال:(إن قائلا قال: لقد أطال اليوم نجوى ابن عمه ، أما اني ماانتجيته ، ولكن الله انتجاه) رواه احمد في المسند .

الحديث الثاني والعشرون

(اخصمك ياعلي بالنبوة ، فلا نبوة بعدي ، وتخصم الناس بسبع لايجاحد فيها احد من قريش ، أنت أولهم ايمانا بالله ، واوفاهم بعهد الله ، وأقومهم بأمر الله ، واقسمهم بالسوية ، وأعدلهم في الرعية ، وأبصرهم بالقضية ، وأعظمهم عندالله مزية) رواه ابونعيم الحافظ في حلية الأولياء .

الخبر الثالث والعشرون

قالت فاطمة : إنك زوجتني فقيرا لامال له ، فقال: (زوجتك أقدمهم سلما ، وأعظمهم حلما ، وأكثرهم علما ألاتعلمين أن الله تعالى اطلع الى الأرض اطلاعه ، فاختار منها اباك ، ثم اطلع اليها ثانية فاختار منها بعلك) رواه احمد في المسند .

الحديث الرابع والعشرون

لما أنزل إذا جاء نصر الله والفتح بعد انصرافه ﷺ من غزاة حنين جعل يكثر من سبحان الله ، استغفر الله ، ثم قال: (ياعلي إنه قد جاء ماوعدت به ، جاء الفتح ،ودخل الناس في دين الله افواجا ، وأنه ليس أحد أحق منك بمقامي ، لقدمك في الإسلام ، وقربك مني ، وصهرك ، وعندك سيدة نساء العالمين ، وقبل ذلك ماكان من بلاء ابي طالب عندي حين نزل القرآن ، فأنا حريص أن أراعي ذلك لولده ، رواه ابواسحاق الثعلبي في تفسير القرآن ، وقال فيه : قيل لعمر : ول عليا امر الجيش والحرب ، فقال: هو أتيه من ذلك ، وقال زيد بن ثابت : مارأينا أزهى من علي وأسامة ، قال فيه : واعلم أنه قد تواترت الأخبار عنه بنحو قوله :(مازلت مظلوما منذ قبض رسول الله ﷺ حتى يوم الناس هذا) .

وقوله :(اللهم أجز قريشا فإنها منعتني حقي ، وغصبتني امري) .

وقوله :(فجزى قريشا عني الجوازي فإنهم ظلموني حقي ، واغتصبوني سلطان ابن امي) .

وقوله وقد سمع صارخا ينادي : أنا مظلوم فقال:(هلم فلنصرخ معا فإني مازلت مظلوما) .

وقوله :(وإنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحى) .

وقوله :(أرى تراثي نهبا) .

وقوله :(اصفيا بإنائنا وحملا الناس على رقابنا) .

وقوله :(إن لنا حقا إن نعطه نأخذه ، وإن نمنعه نركب اعجاز الإبل ، وإن طال السرى) .

وقوله :(مازلت مستأثرا علي مدفوعا عما استحقه واستوجبه .

وأصحابنا يحملون ذلك كله على ادعائه الأمر بالأفضليه والأحقية ، وهو الحق والصواب .

فإن حمله على الإستحقاق بالنص تكفير ، أوتفسيق لوجوه المهاجرين والأنصار ، ولكن الإمامية والزيدية ، حملوا هذه الأقوال على ظواهرها ، وارتكبوا بها مركبا صعبا ، ولعمري أن هذه الألفاظ موهمة ، ومغلبة على الظن مايقوله القوم ، لكن تصفح الأحوال ، تبطل ذلك الظن ، ويدرا ذلك الوهم ، فوجب أن يجرى مجرى الآيات المتشابهات .

وقال فيه: (استعديك) أطلب ان تعديني عليهم ، وأن تنصف لي منهم (قطعوا رحمي) لم يراعوا قربة من رسول الله ﷺ (وصغروا عظيم منزلتي) لم يقفوا مع النصوص الوارة فيه (وأجمعوا على منازعتي أمرا هو لي) أي بالأفضلية ، هكذا ينبغي أن يتأول كلامه .

وكذلك قوله :(إنما اطلب حقا لي ، وانتم تحولون بيني وبينه ، وتضربون وجهي دونه) قال فيه ، وقد روى كثير من المحدثين أنه

عقيب يوم السقيفة تألم وتظلم ، واستنجد واستصرخ ، حيث ساموه الحضور والبيعة .

وأنه قال وهو يشير الى القبر :(ياابن أم ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني) .

وأنه قال:(واجعفراه ولاجعفر لي اليوم ، واحمزتاه ولاحمزة لي اليوم) .

وقال فيه : قرأت في كتاب غريب الحديث لابن قتيبة في حديث حذيفة ، إنه ذكر خروج عائشة فقال:(يقاتل معها مضر مضرها الله في النار ، وازد عمان سلت الله اقدامها ، وإن قيسا لن تنفك تبغي دين الله شرا حتى يركبها الله بالملائكة) .

قلت : هذا الحديث من اعلام نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، لأنه اخبار عن غيب ، تلقاه حذيفة من النبي ، وحذيفة أجمع اهل السيرة أنه مات وعلي عليه السلام لم يتكامل بيعة الناس ، ولم يدرك الجمل.

وقال فيه : إن عمر قال لابن عباس :إن قومكم كرهوا أن تجتمع لكم النبوة والخلافة ، فتذهبوا في السماء شمخا وبذخا .

وقال فيه: قال عمر لابن عباس : هل بقي في نفسه - يعني عليا - شيء من أمر الخلافة ؟قلت : نعم ، قال: أيزعم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نص عليه ؟ قلت : نعم وأزيدك ، سألت أبي عما يدعيه فقال : صدق .

فقال عمر: لقد كان من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أمره ذرو من قول لايثبت حجة ، ولايقطع عذرا، ولقد كان يرفع في أمره وقتا ما ، ولقد أراد في مرضه أن يصرح باسمه فمنعت من ذلك اشفاقا وحيطة على الإسلام ،ورب هذه البنية لاتجتمع عليه قريش أبدا ، ولو وليها

لانتفضت عليه العرب من اقطارها ، فعلم رسول الله ﷺ أني علمت مافي نفسه ، فأمسك وابى الله الا امضاء ماحتم ، ذكر هذا الخبر احمد بن ابي طاهر ، صاحب كتاب تاريخ بغداد في كتابه مسندا .

وفيه عن ابن عباس قال عمر: ياابن عباس ماأرى صاحبك إلا مظلوما ، فقلت : اردد اليه ظلامته ، فانتزع يده من يدي ، ومضى يهمهم ساعة ، ثم وقف ، فلحقته ، فقال : ياابن عباس ماأظنهم منعهم عنه إلا انه استصغره قومه ، فقلت : والله مااستصغره الله ورسوله حين أمراه أن يأخذ براءة من صاحبك فأعرض عني .

وفيه قال عمر: ياابن عباس إن صاحبكم إن ولي هذا الأمر أخشى عجبه بنفسه ، أن يذهب به فليتني أراكم بعدي .

قلت : إن صاحبنا ماقد علمت ، إنه ماغير ولابدل ، ولاأسخط رسول الله ﷺ أيام صحبته له ، قال: فقطع علي الكلام ، فقال: ولافي ابنة ابي جهل ، لماأراد أن يخطبها على فاطمة ، فقلت : قال الله تعالى (ولم نجد له عزما) وصاحبنا لم يعزم على سخط رسول الله ﷺ ، ولكن الخواطر التي لايقدر أحد على رفعها عن نفسه ، وربما كانت من الفقيه في دين الله العالم العامل بامر الله تعالى .

وفيه قال عمر: ياابن عباس : أتدري مامنع الناس منكم ؟ قال: لا ، قال: عمر : لكنني أدري ، قال: وماهو ؟ قال: كرهت قريش أن تجتمع لكم النبوة ، والخلافة فتجحفوا الناس جحفا ، فنظرت قريش لأنفسها فاختارت ووفقت ، فأصابت .

فقال ابن عباس : أما قولك : إن قريشا كرهت ، فإن الله قال لقوم

ذلك :(بأنهم كرهوا ماأنزل الله فأحبط أعمالهم) (١) .

وأما قولك: إنا كنا نجحف ، فلو جحفنا بالخلافة ، جحفنا بالقرابة ، ولكنا قوم أخلاقنا مشتقة من خلق رسول الله ﷺ الى أن قال: وأما قولك : فإن قريشا اختارت ، فإن الله تعالى يقول:(وربك يخلق مايشاء ويختار ماكان لهم الخيرة) (٢) .

وقد علمت أن الله اختار من خلقه ، لذلك من اختار ، فلو نظرت قريش من حيث نظر الله لها لوفقت وأصابت .

فقال عمر: أبت قلوبكم يابني هاشم الا غشا في أمر قريش لايزول ، وحقدا عليها لايحول.

فقال ابن عباس: مهلا لاتنسب قلوب بني هاشم الى الغش ، فإن قلوبهم من قلب رسول الله ﷺ الذي طهره الله ، وزكاه ، وهم اهل البيت الذين قال الله تعالى لهم:(إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا) (٣) .

وأما قولك : حقدا ، فكيف لايحقد من غصب شيئه ، ويراه في يد غيره .

الى ان قال عمر: بلغني أنك لاتزال تقول : أخذ هذا الأمر منا حسدا ، وظلما ، الى أن قال ابن عباس : وأما قولك : ظلما ، فأنت تعلم صاحب الحق ، من هو ، الكلام بطوله في شرح النهج .

وفيه وروى ابن عباس قال: خرجت مع عمر الى الشام ، الى أن

---

١ محمد ﷺ (٩) .

٢ القصص (٦٨) .

٣ الأحزاب (٣٣) .

قال: فقال لي: ياابن عباس: اشكو اليك ابن عمك ، سألته أن يخرج معي فلم يفعل ، ولم أزل أراه واجدا فبم تظن موجدته ؟

قلت : إنك لتعلم ، قال: اظنه لايزال كئيبا لفوت الخلافة ، قلت: هو ذاك إنه يزعم أن رسول الله ﷺ أراد الأمر له .

فقال: ياابن عباس ، وأراد رسول الله الأمر له ؟ فكان ماذا إذا لم يرد الله تعالى ، ذلك أن رسول الله ﷺ اراد ذلك ، واراد الله غيره [١] ، فنفذ مراد الله ، ولم ينفذ مراد رسوله .

وفيه عن ابن عباس قال: دخلت على عمر فقال: ياابن عباس ، لقد أجهد هذا الرجل نفسه في العبادة ، حتى نحلته رياء .

قلت: ومايقصد بالرياء؟

قال: يرشح نفسه بين الناس بالخلافة ؟

قلت: ومايصنع بالترشيح ، قد رشحه لها رسول الله ﷺ فصرفت عنه .

قال: إنه كان شابا حدثا ، فاستصغرت العرب سنه ، وقد كمل الآن ، الى آخر الكلام بطوله .

وفيه : فميل عبدالرحمن الى جهة عثمان ، وانحرافه عن علي عليه السلام قليلا ، وليس هذا بمخصوص بعبدالرحمن بل قريش قاطبة ، كانت منحرفة عنه .

وقال فيه: وأنا أعجب من لفظة عمر ، إن كان قالها ، إن فيه ـ يعني عليا عليه السلام ـ بطالة ، ومأظن عمر إن شاء الله قالها ،

---

١ حاشا الله أن يريد مالايأمر ، وحاشا رسول الله أن يريد غير مراد الله ، ومن قال عليه هذا فقد أبطل عصمته .

وأظنها زيدت في كلامه ، وأن الكلمة هاهنا لدالة على انحراف شديد .

وقال ابن ابي الحديد فيه ايضا : وقفت في بعض الكتب على خطبة لعلي عليه السلام من جملتها :(إن قريشا طلبت السعادة فشقيت ، وطلبت النجاة فهلكت ، وطلبت الهدى فضلت) ألم يسمعوا ويحهم قوله تعالى :(الذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان الحقنا بهم ذرياتهم) [1] فأين المعدل والمفزع عن ذرية رسول الله ﷺ الذين شيد الله بنيانهم فوق بنيانهم ، وأعلى رؤوسهم فوق رؤوسهم ، واختارهم عليهم ، ألا ان الذرية أفنان أنا شجرتها ، ودوحة أنا ساقها ، وإني من أحمد بمنزلة الصنو من الصنو ، كنا ظلالا تحت العرش قبل خلق البشر ، وقبل خلق الطينة ، التي كان منها البشر أشباحا عالية لاأجساما نامية ، إن أمرنا صعب مستصعب ، لايعرف كنهه إلا ثلاثة : ملك مقرب ، أونبي مرسل أوعبد امتحن قلبه للإيمان ، فإذا انكشف لكم سر ، أووضح لكم أمر ، فاقبلوه ، والا فاسكتوا تسلموا ، وردوا علمنا الى الله فإنكم في أوسع مما بين السماء والأرض .

وهذه الخطبة ذكرها في الجزء الثالث عشر في شرح قوله في النهج :(فمن الإيمان مايكون ثابتا مستقرا في القلوب ، ومنه مايكون عوارى بين القلوب والصدور الى أجل معلوم ، فإذا كانت لكم براءة من أحد ، فقفوه حتى يحضره الموت ، فعند ذلك يقع حد البراءة ،

---

١ الطور (٢١) .

والهجرة قائمة على حدها الأول ، ماكان لله في أهل الأرض حاجة من مستسر الأمة ومعلنها ، لايقع اسم الهجرة على أحد، الا بمعرفة الحجة في الأرض ، فمن عرفها ، وأقر بها ، فهو مهاجر ، ولايقع اسم الإستضعاف على من بلغته الحجة ، فسمعتها اذنه ، ووعاها قلبه ، إن امرنا صعب مستصعب ، لايحمله إلا عبد مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان ، ولايعي حديثنا إلا صدور أمينة ، وأحلام رزينة ، أيها الناس سلوني قبل أن تفقدوني ، فلأنا بطرق السماء أعلم مني بطرق الأرض ، قبل ان تشغر برجلها فتنة ، تطأ في خطامها ، وتذهب بأحلام قومها) انتهت من النهج .

وقال ابن ابي الحديد رحمه الله في شرحه على النهج : روي أنه صلى النبي ﷺ على قتلى أحد، وقال : (أنا شهيد على هؤلاء) فقال له ابوبكر: ألسنا اخوانهم أسلمنا كما أسلموا ، وجاهدنا كما جاهدوا ؟ قال: (بلى ولكن هؤلاء لم يأكلوامن اجورهم شيئا ، ولاأدري ماتحدثون بعدي) .

وفيه روي في كتاب من امير المؤمنين الى معاوية ، وفيه :(واعلم ان هذا الأمر لوكان الى الناس ، أوبأيديهم ، لحسدوناه ، ولاامتنوا علينا به ، ولكنه قضاء مما منحناه ، واختصنا به على لسان نبيه ، الصادق المصدق ، لاأفلح من شك بعد العرفان والبينة) .

وقال في شرح وصية الصدقة ، حيث خص الوصية باولاد فاطمة ، قربة في رسول الله ﷺ قال مالفظه : وفي هذا رمز وأزراء بمن صرف الأمر عن اهل بيت رسول الله ﷺ مع وجود من يصلح للأمر ، أي كان الأليق بالمسلمين والأولى أن يجعلوا الرياسة بعده لأهله ، قربة

الى رسول الله ﷺ ، وتكريما لحرمته ، وطاعة له ، وأنفة لقدره ﷺ ، أن يكون ورثته سوقة يليهم الأجانب ، ومن ليس من شجرته واصله .

وقال في شرح قول علي عليه السلام في كتاب معاوية :(فدع عنك من مالت به الرمية) أي دع ذكر من مال الى الدنيا ، ومالت به ، أي أمالته اليها .

فإن قلت: فهل هذا اشارة الى ابي بكر وعمر؟ قلت : ينبغي أن ينزه أميرالمؤمنين عن ذلك ، وأن تصرف هذه الكلمة الى عثمان ، لأن معاوية ذكره في كتابه .

وفيه : ومن جملة كتاب الحسن :(ثم حاججنا نحن قريشا ، بمثل ماحاججت به العرب فلم تنصفنا قريش انصاف العرب لها ، إنهم أخذوا هذاالأمر دون العرب بالإنصاف والإحتجاج ،فلما صرنا أهل بيت محمد وأولياؤه الى محاجتهم ، وطلب النصف منهم باعدونا ، واستولوا بالإجتماع على ظلمنا ، ومراغمتنا ، والعنت منهم لنا ، فالموعد الله ، وهو الولي النصير .

وقال فيه : ولولا عمر لما بايع يعني لأبي بكر علي ، ولاالزبير ، ولاأكثر الأنصار ، والأمر في هذا أظهر من كل ظاهر .

وقال فيه : وقالت الأنصار : لولا علي بن ابي طالب عليه السلام في المهاجرين لأنفنا لأنفسنا ، أن يذكر المهاجرون معنا ، أوأن يقرنوا بنا ، ولكن رب واحد كألف ، بل كألوف . انتهى رحم الله ابن ابي الحديد ، فأين صحة دعوى المعتزلة الإجماع على امامة ابي بكر ! وأين رضاء امير المؤمنين حسبما ذكر هنا ، ونقلناه عنه ! .

واعلم وفقنا الله واياك أن من بحث وتطلع على ماروته الأمة في

علي عليه السلام ، على تباين في عقائدها ، واختلاف في مذاهبها ، وتفهم لذلك علم يقينا عصمته عليه السلام ، وعلم بما دلت عليه تلك الأخبار التي يشق علينا نقلها ، لكثرتها أنه أعلم الأمة بعد نبيها ، وأنه مع الحق والحق مه ، وأن قوله حجة في الأصول والفروع ، وأنه أعلم بأخر الأمرين من رسول الله ﷺ ، وأنه وصي رسول الله ﷺ ، وأنه الإمام بعده بلا فصل ، وأن الله يحبه ورسوله ، وأنه أفضل الأمة بعد نبيها ، وأن بغضه نفاق ، وحبه ايمان ، وهذا الذي أدين الله به فيه ، وسكنت عليه النفس لاعن تقليد ، بل عن نظر صحيح ، فنحن نحب من أحبه أمير المؤمنين ، ونبغض من بغضه ، ونتجرم ممن تجرم منه [1] ، ونقتدي به فيما صح لنا عنه والحمد لله رب العالمين .

ولاشك أنه قد تجرم وتظلم ممن تقدمه ، وهو قدوتنا في ديننا ، وعلى هذا قدماء العترة ، وأكثر اعيان المتأخرين ، ومن أرادالتطلع على كثير مما روت الأمة فيه فعليه بالشافي للمنصور بالله ، ومقدمة الإعتصام للإمام القاسم ، وشرح الغاية لولده الحسين ، وأنوار اليقين ، وينابيع النصيحة ، وغير هذه من المؤلفات لأهل البيت وشيعتهم ،ولفقهاء العامة ، كابن المغازلي الشافعي ، والكنجي ، وغيرهما .

وسبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم ، وصلى الله وسلم على محمد وآله .

---

١ فنحب شيعته حقا ، ونبغض أعداءه كمعاوية وأضرابه واتباعهم ، ونتجرم ممن تجرم منه كالشيخين ابي بكر وعمر واضرابهم ، تمت مؤلف .

اللهم أحسن لنا الختام ، وأدم لنا النعمة حتى تهنينا المعيشة ، واختم لنا بخير حتى لاتضرنا ذنوبنا ، واكفنا هم الدنيا ، وكل هول في القيامة ، حتى تدخلنا الجنة ، يارحمن يارحيم ، وصل وسلم على محمد وآله الطيبين الطاهرين .

قال المؤلف الإمام الهادي / الحسن بن يحي بن علي القاسمي المؤيدي اليحيوي الضحياني غفر الله له .

وكان تمام تأليف هذه النسخة المباركة في الحرجة من بلاد شريف ، قبيل صلاة العصر يوم الأحد لعله سادس عشر شهر شعبان من عام ١٣٣١ هجرية .

انتهت كتابة هذه النسخة المباركة والحمدلله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على محمد وآله الطاهرين ، وذلك في ١ جمادى الأولى من عام ١٤١٢هجرية ، وكتب حسن بن حسن بن علي الهادي غفر الله له ولوالديه والمؤمنين .

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرست الكتاب

أبو أيمن للطباعة والنشر
صنعاء ـ الجمهورية اليمنية ص.ب: ١٢٥٠٢/تليفون/ فاكس: ٢٤١٨٠٥